سيدة سوريا

شـهرية مستقلـة تعنى بـالمرأة السـورية
تصدر عن المركز السوري للصحافة والنشر

أيار ٢٠١٤ / العدد (٥)

د. زياد ماجد
ملاحظات حول العنصرية في لبنان

د. رضوان زيادة
ما بين رواندا وسوريا

سحر حويجة
سوريا وسيطرة القوانين الاستثنائية وأحكامها

د. إنعام شرف
تطور دور المرأة في القرن العشرين

لقاء:
- هبة الأنصاري تشكيلية سورية تعيد ترتيب المجزرة
- سعاد نوفل امرأة في محاربة الظلم والتطرف

تحقيق:
قناع الديمقراطية يكشف مهزلة انتخابات النظام

الغلاف: تصوير حسام قطان

العناوين:

افتتاحية

قناع الديمقراطية يكشف مهزلة انتخابات النظام
بهزاد حمو

سوريا وسيطرة القوانين الاستثنائية وأحكامها
سحر حويجة

#سوا لتوجيه سلاح الأسد إلى صدره
فريق تحرير سيدة سوريا

المرأة الكردية.. خيارات الحرية والوعي المجتمعي
خوشمان قادو

وطي صوتك «سـوريا تنتحب»

فيلم (سوا للموت)

داعيات دمشق وريفها يروجن لبشار الأسد من قلب المسجد الأموي
فريق تحرير سيدة سوريا

تمكين المرأة
مية الرحبي

تطور دور المرأة في القرن العشرين (ج٢/٢)
ترجمة: د. إنعام شرف

سعاد نوفل امرأة في محاربة الظلم والتطرف
حاورتها سيدة سوريا

إلى أين أوصلونا
صبا مدور

إعلام المعارضة وصورة الثورة
لبنى زاعور

السيداو

على الرجال قبول مساواة المرأة لهم إذا أرادوا تحقيق التنمية
ترجمة: محجوب منذر

ملاحظات حول العنصرية في لبنان
د. زياد ماجد

ما بين روندا وسوريا
د. رضوان زيادة

نظام الأسد وهاجس الشرعية المفقودة
بكر صدقي

حين آدمز

معتقلات
ياسمينة بنشي

عادلة بَيْهَم الجزائري

هل أنت ضحية له؟ العنف اللفظي يدمر الثقة بالنفس
نجاح سفر

الطفولة.. الأداة التي نرسم بها مستقبلنا
رشا غيبور

الإصابة بسرطان الجلد
هادية الخطيب

الطلاب السوريون في تركيا.. خطى شريدة ومستقبل مجهول
تحقيق: نور مارتيني

حكايات عن المرأة بوصفها ضحية للعنف المجتمعي
د. غسان مرتضى

رشا عمران (بانوراما الموت والوحشة وسريالية الواقع السوري)
عبد الكريم بدرخان

تسالي

هبة الأنصاري تشكيلية سورية تعيد ترتيب المجزرة
حاورتها سيدة سوريا

ملتقى الثقافات المتجاورة في غازي عينتاب
تقرير: فريق تحرير سيدة سوريا

أدب:
- كحل بازلتي (كونشيرتو أو تلوين صوتي)
أيمن الأحمد
- نواقذ المعصية الخمس وبوابات الغفران
علاء الدين زيات

الصفحة الأخيرة: عمل للفنانة ديالا برصلي

سيدة سوريا

رئيس التحرير:
محمد ملّاك

مدير التحرير:
ياسمين مرعي

مدير علاقات عامة وترجمة:
د. إنعام شرف

سكرتير تحرير:
مراد عيد

الإيميل:
saiedetsuria@gmail.com

الفيس بوك:
www.facebook.com/saiedetsouria

المكتب الرئيسي:
تركيا - غازي عينتاب
ت: ٠٠٩٠٥٥٣٣٦٧٩٥٢٨
٠٠٩٠٥٤٣٥٣٢٢٩٧١
٠٠٩٠٥٣٤٧٣٦٢٤٥٨

السعر خارج سوريا: (٥) يورو
توزع مجاناً داخل الأراضي السورية

افتتاحية

فصل جديد في مسرحية الانتخابات في سوريا

وصل عدد سكان سوريا إلى أربعة وعشرين مليوناً ونصف حسب إحصائيات النظام ٢٠١٠، قسم منهم تحت سلطة النظام، وآخر خارج سلطته، بيد المعارضة أو من يحسب عليها من حيث عداوته للنظام. وهذه المناطق خارج سلطة النظام تشمل على الأقل كلاً من: ريف حلب ونصف المدينة، وريف دمشق كاملاً وأجزاء من المدينة، خاصةً الجنوبية منها، وريفي حمص الشمالي والشرقي، إضافةً إلى حمص القديمة الخالية اليوم من سكانها السنة، وريف حماة الشمالي والشرقي ومدينة دير الزور وريفها، والرقة وريفها، ودرعا وريفها، والقنيطرة وريفها، وإدلب وريفها، وسنعتبر نصف محافظة السويداء فقط، لم يذهب إلى الانتخابات، خاصةً إذا تذكرنا المسيرات التي لم تتجاوز العشرات، والتي حاول النظام تسييرها في السويداء لتأييد بشار الأسد في الشهرين الأخيرين، (ونقدر سكان هذه المناطق جميعا بـ (١٣,٧٥٠) مليون.

يقول النظام أن عدد الناخبين السوريين المحتملين في الداخل والخارج يبلغ ١٥ مليون وثمان مئة وأربعين ألفاً، ما يعني أن ثلثي عدد السكان ضمن السن الانتخابي، ويعني أن تسعة ملايين ناخب خارج مناطق النظام في مناطق المعارضة، ولو أنهم أرادوا انتخاب بشار الأسد لن يستطيعوا الوصول إلى صناديقه.

وهذا سيبقي له فقط سبعة ملايين ناخب محتمل، جزء كبير منهم خارج البلاد ضمن اللاجئين، كما لن يخرج جميع من تبقى منهم من بيته تحت الخطر وحماية الشبيحة والميليشيات لينتخب، إلا طبعاً من انتمى لهذه الفئات أو ربطته المصلحة معها.

فلو اختصرنا هذه الأعداد التي نقدرها بمليوني ناخب على الأقل، لبقي خمسة ملايين، ولبقي أربعة ملايين ناخب بعد حذف مليون ذهبوا للمرشحين الباقيين.

نعلم أننا لن نعيد اختراع العجلة عندما نفند هذا الكلام، الذي يعرفه القاصي والداني، وليس بجديد على حياة السوريين أن يفبرك النظام النتائج، بل الآليات والصناديق مخترعاً كل تفصيل في عملية (لم يسمها انتخاباً حتى) بل أطلق عليها من أسماء التخلف ما يضحك ويثير السخرية (استفتاء وبيعة وولاية) دون مرشح مقابل، ثم سماها تجديد البيعة، ثم إلى الأبد في خروج لآل الأسد عن الطبيعة البشرية، دون أن يُبحث في السؤال أي أبد يقصدون. وكانت النتائج كالتالي:

المرشح الوحيد حافظ الأسد ١٩٧١: ٩٩,٢٪

المرشح الوحيد حافظ الأسد ١٩٧٨: ٩٩,٩٪ (بعد وضع ما يسمى دستور ١٩٧٣)

المرشح الوحيد حافظ الأسد ١٩٨٥: ١٠٠٪ لم يعترض عليه إلا ٣٧٦ شخصاً من ستة ملايين ناخب، وكان قد قتل ٥٠ ألف سوري في أحداث ٨٢ وشرد مئات الآلاف.

المرشح الوحيد حافظ الأسد ١٩٩١: ١٠٠٪ ولم يعترض عليه في سوريا سوى ٣٩٦ شخصاً.

المرشح الوحيد حافظ الأسد ١٩٩٩: ١٠٠٪ واعترض عليه فقط ٢١٩ شخص من تسعة ملايين ناخب، ولكن للأسف انتهى الأبد بعد عام من هذه النتائج الباهرة.

ثم جاء ولي العهد والوريث، المرفوض كما يقولون من الجميع، أبوه الذي أراد باسل، وأمه التي أرادت ماهر، وأخته بشرى التي أرادت آصف شوكت! مع ذلك وبعد ترفيعه في ثلاثة أيام من رتبة عقيد إلى فريق، وتعديل الدستور على مقاس عمره، استفتى السوريون عليه وكانت النتيجة ٩٩,٧ بالمئة في عام ٢٠٠٠، طبعاً دون منافس ثم ٩٧,٦ بالمئة في عام ٢٠٠٧ على أن يكون الفارق الذي يفصله عن نسبة مئة بالمئة أصواتاً باطلة وليست رافضة، والآن يمكن أن يحصل بشار الأسد على نسبة مماثلة أو أقل قليلاً بسبب وضع مرشحين منافسين مخترعين، لم يتركا فرصة على التلفزيون والراديو والصحف إلا وأكدا فيها أنهما سينتخبان بشار الأسد (منافسهم) بالدم، ليرد عليهم متشددو النظام وشبيحته، (بل ستنتخبونه بالحذاء) في إشارة إلى معرفة الجميع حالة التواطؤ حول مهزلة المنافسين المخترعين، ومع ملاحظة أن الحذاء في سوريا والعسكري تحديداً، بات رمزاً يوضع على الرؤوس ويقبّل بحرارة، وتزين بنصُبه الساحات، ليدشنها المحافظون وأمناء فروع حزب البعث وقادة الشرطة والشبيحة، مستبدلين به تماثيل حافظ الأسد التي أسقطها السوريون وحطموها في معظم المدن والقرى السورية، دون أن يؤثر ذلك على عادة السوريين في انتخاب حبيب الشعب والملايين حافظ الأسد وابنه، كما يريد النظام القول.

والآن ماذا تعني مهزلة الانتخابات التي يصر عليها النظام في ظل الفوضى السورية، والتي تشبه مهزلة الدستور الجديد في ٢٠١٢، وانتخاب مجلس الشعب الجديد، واختيار مرشحين منافسين ينتخبان خصمهما، وكمهزلة المادة الثامنة بخصوص الحزب القائد، ومهزلة تبديل قانون الطوارئ بقانون الإرهاب، إنها تعني مزيداً من القتلى السوريين موالاة ومعارضة، شبيحة وثواراً. مزيداً من الأيتام، من الثكالى، الأسر المدمرة، مبتوري الأطراف، توقّف الزراعة والصناعة والتجارة، تعطل الحياة بكل ما فيها، ثارات وانتقامات، محرقة تقوم بها وتغرق فيها، القاعدة وداعش وميليشيات نصر الله والمالكي وخامنئي.

لكن مهما كانت النسبة التي سيفبركها نظام بشار الأسد سيبقى هناك سؤال هام، إن بات بشار الأسد رئيساً على ورق كتبه أو فبرك ما فيه، كيف سيتمكن من حكم بلدٍ كلما أطل برأسه فيها من مخبئه، لاحقته الصواريخ وقذائف الهاون، بلدٍ لا يستطيع مغادرتها في زيارة، بلدٍ باتت تسجنه وتقرب سقوطه، تلفظه كلما حاول التشبث بحكمها!

رئيس التحرير

قناع الديمقراطية يكشف مهزلة انتخابات النظام

((حيثُ سقطتْ براميلكَ «يا سيد البراميل المتفجرة» سنفكر بانتخابك))

• بهزاد حمو

أعلن ما يُسمى بـ «مجلس الشعب» في سوريا، عن فتح باب الترشح للانتخابات الرئاسية «التعددية» اعتباراً من ٢٢ نيسان/أبريل ولغاية ١ أيار/مايو ٢٠١٤.

وعلى الفور تقدَّم عدد من السوريين بطلبات الترشح لمنصب رئيس الجمهورية «٢٤ طلباً». قبلتْ المحكمة الدستورية من بينهم ثلاثة طلبات فقط، «على اعتبار أن الطلبات الأخرى، لا يحقق مقدّموها الشروط التي أقرَّتْ مؤخَّراً»، على حد تعبير ما يُسمى بـ «المحكمة الدستورية العليا» التي تفصل في طلبات الترشح لهذا المنصب. استناداً إلى الدستور الجديد الذي أُقرَّ في شباط/فبراير ٢٠١٢

تقديرات الدَّم:

صرَّحت بثينة شعبان «المستشارة الإعلامية للقصر الرئاسي» في معرض حديثها عن «الانتصارات» التي يحققها النظام السوري على الأرض أن «هذه الانتصارات كلَّفت سوريا أكثر من مئتين وخمسين ألف شهيد». في محاولة منها لكسر احتكار وسائل الإعلام اللبنانية التابعة لحزب الله وأخرى مقربة من النظام الإيراني «للانتصارات» التي تروِّج لها شعبان.

وتحدَّثت تقارير إعلامية وحقوقية محلية وأخرى دولية عن أرقام متضاربة ومتفاوتة، حصرتهم الأمم المتحدة نهاية العام الفائت بعبارة سياسية «أكثر من مئة ألف قتيل». إلا أن عبد الكريم الريحاوي رئيس «الرابطة السورية لحقوق الانسان»، كشف لـ«عكاظ» بأن «الأعداد الحقيقية لضحايا الحرب في سوريا يتجاوز الأرقام الرسمية بعشرات المرات». مضيفاً «أن اعتبارات سياسية تمنع الأمم المتحدة ومجلس حقوق الإنسان من الإفصاح عن الرقم الحقيقي، الذي يصل إلى المليون ضحية». بحسب الريحاوي.

وكانت الشبكة السورية لحقوق الإنسان قد كشفت في آخر تقرير لها بداية العام الحالي أن «أكثر من ألف شخص قضوا ضحية البراميل المتفجرة خلال أقل من شهرين». وأضافت أن «٩٧٪ منهم من المدنيين العزَّل».

بغض النظر عن مدى دقة ومصداقية الأرقام السابقة، نتيجة للظروف الصعبة التي لا تسمح بإجراء إحصاء مهني لعدد الضحايا، يُمكن الاعتماد عليه، إلا أننا سنذهب مع «الفرضية» التي تقول: إن عدد الضحايا في سوريا بلغ مئتي ألفاً، ليس لأنه الرقم الأدق، بل لأنه الرقم الوسطي والذي قد يلقى قبولاً من أغلب الأطراف.

وإذا افترضنا أن كل ضحية تنتمي إلى عائلة قوامها خمسة أشخاص وسطياً، هذا يعني أن أكثر من مليون سوري قد تضرروا بشكل مباشر من إجرام النظام. «فهل ثمَّة عاقلٌ سينتخب من قتل أخاه أو فرداً من عائلته، دون وجه حق». وذلك بتعبير الناشط الإعلامي نداء الحلبي.

وإذا قمنا بسحب العملية السابقة على أعداد الجرحى التي وصلت، بحسب تقديرات إعلامية وحقوقية، إلى مليون جريح.. هذا يعني أنه ثمّة خمسة ملايين مواطن سوري تجمعهم أخوة مباشرة مع الجرحى، لن ينتخبوا بشار الأسد. «لهذا نقول بأن بشار فاقد للشرعية»، بحسب الناشط الحلبي أيضاً.

بالإضافة إلى ما سبق، ثمَّة الملايين، (تقول تقديرات بأن أعدادهم وصلت لعشرة مليون) ممن نزح داخلياً أو هُجِّر إلى دول العالم أو بقي شريداً تتلقفه الطرقات وألغام الحدود.. أيُعقل أن يعود المهاجرون والمشردون، ليفوِّضوا مشرِّدهم من جديد..؟!

الأسد الديمقراطي !!

بعد أن فقد الأسد الشرعية الشعبية، التي لم يكن يمتلكها أصلاً، إلا بعصا غليظة ويد ظالمة تدقُّ رقاب السوريين، لم يكن أمامه إلا الرضوخ الشكلي للمطالبات الشعبية والدولية بإجراءٍ ديمقراطي. إلا أن العقلية التي تحكم علاقة هذه العصابة مع الفعل الديمقراطي، أنتجت أزمةً بلغت حدود «المهزلة» الحقيقية، في سعي الأسد الخبيث، ومن خلفه الجوقة الإعلامية، إلى الترويج للحالة الديمقراطية والتعددية التي تتسم بها الانتخابات الرئاسية هذه الدورة.

وفي تصريح لـ«سيدة سوريا»، تحدث الكاتب السوري عارف حمزة عن «العطالة التي تحكم الحالة القانونية في البلاد منذ استلام البعث لسدة الحكم»، مؤكِّداً «أن سوريا ومنذ تاريخ انقلاب البعث، ليست دولة قانون، ولا تحكمها

القوانين والدساتير. وذلك لوجود ((مؤسسات)) أخرى أكثر عمقاً والتصاقاً بجسد ((الدولة)) تمنع تطبيق هذه القوانين وتفرّغها من مضمونها».

وكان حمزة في مقالة له تحت عنوان «حوادث مبهجة من انتخابات الرئاسة في سوريا»، قد تحدَّث عن «الآمال» التي ما انفكَّ السوريون ينسجونها عن بشار الأسد، منذ توريثه للحكم في البلاد إلى تأخره عن إعلان ترشحه للانتخابات الرئاسية هذا العام. ويذكر حمزة في المقالة المنشورة في «نوافذ» المستقبل حكاية من الانتخابات الرئاسية التي أجريت زمن حافظ الأسد: «في انتخابات عام ١٩٨٥ فاز الرئيس السوري السابق حافظ الأسد بنسبة مائة في المائة في الاستفتاء الشعبيّ المخزي، بعد مرور ثلاث سنوات تقريباً على أحداث «حماه»، وتكرّرت هذه النسبة في الاستفتاءات اللاحقة. ومع ذلك أزعج السلطات الأمنيّة اكتشاف ورقة اقتراع واحدة ترفض استمرار تولّي الأسد الحكم في سوريّا في بلدة «صوران» في ريف حماه، على سبيل المثال، فما كان منهم سوى اعتقال أكثر من مائتي شاب من أبناء تلك البلدة، واقتيادهم إلى مكان مجهول. وما زال ذلك المكان مجهولاً منذ عام ١٩٨٥، ولم يعد أحد من أولئك الشبّان بعد!».

إعلام النظام يجدّدُ العهد!

العقلية التي أنتجتها عقودٌ من «منطق الإقطاعي» في التعاطي مع قضية الحكم والمحكومين، لن يكون بإمكانها العيش في بيئة صحية تنظر إلى رئيس الجمهورية كونه يشغل منصباً عاماً، تحكمه مجموعة من الضوابط والالتزامات، تفوق، بكل تأكيد، تلك التي تُلزم مواطناً عادياً. لكن المؤلم في هذه «المهزلة» الانتخابية، حسب تعبير وزير الخارجية الأمريكي الذي جَّدد موقف بلاده الرافض لإجراء هذه الانتخابات، معتبراً أن النظام السوري يحاول من خلالها كسب شرعية لا يملكها للتغطية على فظائعه، فالمؤلم هو وجود أعداد ليست بالقليلة، من المطبّلين لهذا «الاستحقاق الرئاسي»، كما درج إعلام النظام على تسميته، في تغطيات إعلامية مثيرة للسخرية يجريها على مدار الساعة، تعري الإعلام السوري أمام جثة الديمقراطية التي يشرّحها إعلاميو النظام، في غياب المرشحين الذين يروجون لبشار أكثر مما ينافسونه، فصورته تظهر معلقة في مكتب «ماهر الحجار»، فيما يأتي «حسان النوري»على ذكر

بشار الأسد وأبيه، والثناء عليهما مراراً في لقاءات لا تتجاوز مدتها دقائق معدودة.

وكانت بعض مواقع التواصل الاجتماعي قد نقلت عن ماهر حجار قوله «بأنه سينتخب بشار الأسد بالدم». إلا أنه على الفور قوبل بالكثير من الشتائم من قبل مؤيدين لبشار الأسد، كان أكثرها وضوحاً وقبحاً «بالصرماية رح تنتخبوا يا (...) وليس بالدم».

هذا وانتشرتْ مؤخَّراً حملات دعائية لبشار الأسد، بمسميات مختلفة. اتخذ بعضها اسم الحملة التي أطلقها الأخير وهي «سوا». وتناقلت مواقع إلكترونية تعليقات على مواقع التواصل الاجتماعي بين مؤيدين ومنظمين لهذه الحملات، تدعو بعضها إلى «إجراء استفتاء لتحويل سوريا إلى مملكة».

هذا وكانت الخارجية الفرنسية قد أصدرت في ١١ أيار/مايو بياناً قررت فيه «منع إجراء الانتخابات الرئاسية على كامل أراضيها، بما فيها السفارة السورية في باريس». وكانت الدول الأساسية الإحدى عشرة في مجموعة أصدقاء سوريا قد أدانت الانتخابات الرئاسية، التي دعا إليها النظام، واعتبرتها «غير شرعية».

الأقليات والانتخابات:

يراهن النظام على «تأييد الأقليات» لسياساته ونهجه الذي يراه «حامياً» لهذه الأقليات، ويجد من بين أفراد كل فئة اجتماعية، كدأبِ أي

دكتاتور، من يروّج لهذه المقولة التي لا يفضحها ويعريها أكثر من الواقع.

فالأكراد الذين بات يحتل اسمهم العابر مساحات ضئيلة من الإعلام الرسمي، لا يقتصر إلا على فعل الصهر والطمس، استكمالاً لسياسات الأسد الأب والابن التي تكللت في محطات كثيرة منها بدم الأكراد، وبات النظام يروّج مؤخراً لفكرة مفادها بأنه صار مقبولاً بين الأكراد السوريين، مستغلاً شخصيات «كردية» تعمل في ظل الأسد، من أمثال عمر أوسي رئيس ما يسمى بـ«المبادرة الوطنية للأكراد السوريين» المبادرة التي يترأسها أوسي ويشارك في عضويتها ثلة من الأمنيين والتابعين لهم، حيث أعلن مؤخراً عن «تفاهمات حصلت بينه وبين القيادات الكردية في مناطق الإدارة الذاتية ((شمال وشمال شرق سوريا)) حول وضع صناديق الاقتراع في تلك المناطق». يضيف أوسي: «أن الأكراد السوريين سيشاركون وبكثافة في الانتخابات»، منوّهاً أن «قرار الأحزاب الكردية بمقاطعة الانتخابات الرئاسية، لن يؤثر على الشارع الكردي البعيد أصلاً عن هذه الأحزاب»، بحسب أوسي أيضاً. إلا أن مراجعة بسيطة لحالة المناطق الكردية، والتي لن تتسع هذه السطور لتغطيتها، يدحض كل ما يتفوَّه به أوسي هذا.

والنظام الذي حارب جميع طوائف الشعب السوري، فزاد في عزلتها، أفقرها وهجر أبناءها وسجن وقتل منهم الكثير، لن يكون بمقدوره الحصول على ولائهم إلا بالعصا الغليظة التي دأب على استعمالها منذ انقضاضه على البلاد.

في ظلّ غزارة براميل الموت التي يلقيها الأسد على الناخبين في إطار حملته الانتخابية، لن يكون بمقدور السوريين التوجُّه إلى صناديق الاقتراع، فالطريق إليها مكتظة بجثث الشهداء وغارقة بدمائهم.

سوريا وسيطرة القوانين الاستثنائية وأحكامها

• سحر حويجة

تقضي القاعدة العامة أنه في الحالة التي تحصل فيها تغيرات جوهرية في دولة ما، مثل اقتطاع جزء من سلطاتها، ستنتقل هذه السلطات إلى أيدٍ أخرى جديدة، تعتمد هذه السلطات في تحديد سلطاتها على قوانين قديمة أو استحداث قوانين جديدة. إن ثورة الشعب السوري قامت على أمل عودة حقوقه المسلوبة، ودحر الاستبداد، كانت تظهر إيمان الشعب الثائر بحقوق الإنسان والعدالة، وإلغاء كل قانون أو إجراء استثنائي يقوض حقوقه، أو يخرجه من العصر الحديث، عبر قوانين لا تلائم حاجات الواقع ولا تعطيه حقوقه.

تنقسم سوريا في هذه المرحلة إلى مدن ومناطق تحت سيطرة النظام، ومناطق محررة تقع تحت سلطة قوى المعارضة المسلحة، كل طرف يعبر عن سلطته بقوانين خاصة مختلفة، ومحاكم تقوم على تطبيق هذه القوانين.

السلطة الممثلة بالنظام تعتمد جملة من القوانين تنظم العلاقة بين الأفراد، حيث المعاملات التي تجري بينهم ينظمها القانون المدني، وتفصل في المنازعات محاكم مختصة صلحية وبدائية، وقوانين تنظم العلاقة فيما بين الأفراد والحكومة، ينظمها قانون إداري يفصل المنازعات فيه قضاء مجلس الدولة، وقانون العقوبات الذي يضم كل الجرائم، التي تصنف إما جنايات أو جنح حسب نوع الجرم والعقوبة التي توجه إلى المتهم. الجنايات تفصل فيها محاكم جنائية، والجنح تفصل فيها محاكم الجزاء.

أما قضايا الأحوال الشخصية التي تشمل الزواج والطلاق والنسب والحضانة والوصايا والميراث، والتي ينظمها قانون الأحوال الشخصية، فتراجع بها المحاكم الشرعية التي اتخذت اسمها من أن مصدر أحكامها الشريعة، كما أن كل طائفة في سوريا لديها محاكم مذهبية خاصة، وهناك القانون التجاري وغيره من القوانين، أما من حيث الشكل فيوجد أصول محاكمات مدنية وجزائية لتنظيم طرق التقاضي.

تاريخ القوانين سالفة الذكر يعود إلى عهد ما بعد الاستقلال، حيث تم إقرار القانون المدني وقانون العقوبات منذ ١٩٤٩، والتعديلات التي طرأت على هذه القوانين خلال تعاقب الأنظمة المختلفة على السلطة في سوريا كانت محدودة، تشمل هذه المادة أو تلك. أما عملية تنظيم السلطة السياسية وأمن وحماية هذه السلطة، فتتم عبر قوانين استثنائية خضعت للتبديل والتغيير الجوهري، نتيجة تعاقب السلطات في سوريا. نشير هنا أن الاعتداء على أمن الدولة الخارجي والداخلي هو جزء من قانون العقوبات العام، يخضع للمحاكم العادية المدنية، إلا أن سلطة الاستبداد أخضعت هذه الجرائم إلى قانون الطوارئ، وعاقبت من يقترفها عقوبات قاسية وصلت حد الإعدام، وأحالت المتهمين إلى المحاكمة أمام محاكم استثنائية ميدانية وعسكرية ومحاكم أمن الدولة، التي تفتقر إلى أدنى ضمانات الدفاع، كما استحدثت قوانين استثنائية للملاحقة، مثل قانون مناهضة الاشتراكية، وغيرها من قوانين استثنائية كثيرة.

في المقابل المناطق المحررة التي تقع تحت سيطرة المعارضة المسلحة، تعمل وفق قوانين يمكن وصفها بأنها استثنائية وقاصرة، حيث يوجد نوع واحد من المحاكم هي المحاكم الشرعية، التي تقوم بالفصل في جميع القضايا، المدنية من معاملات الأفراد أو قضايا الأحوال الشخصية، كما تحكم في القضايا الجزائية، إضافة إلى قضايا أمن السلطة من أسرى ومعتقلين.

بعد الثورة ألغت السلطة قانون الطوارئ على أساس تلبية مطالب الشعب الثائر، والحقيقة هي تحلل النظام من أي قانون باستخدام العنف الخارج من عقاله ضد المعارضين، بل ضد الشعب الأعزل تحت شعار محاربة الإرهاب. كما أصدر

النظام قانون مكافحة الإرهاب بديلاً عن قانون الطوارئ، بعد أن أصبح للمعارضة جناح عسكري، على اعتبار أن كل من يحمل السلاح ضد السلطة إرهابي، كما أن القانون طال حتى المعارضين السلميين لمجرد أنهم يؤمنون بالتغيير الجذري، حيث يخضعون لهذه المحاكم على أنهم يدعمون المعارضة المسلحة، أو يتعاونون معها، في نسف لقواعد القانون الدولي الإنساني الذي يحمي المدنيين في ظروف الاقتتال الداخلي، حتى لو قدموا المساندة والدعم لأحد أطراف القتال، سواء الدعم المادي أو المعنوي. هكذا تم التضييق على المعارضة بكافة أطيافها بتقديم المعارضين للمحاكمة أمام محاكم مكافحة الإرهاب لأسباب واهية. أيضاً الدستور شكّل، ومازال، طوق حماية لسلطة الاستبداد، حيث تم تفصيل دستور على مقاس السلطة وحاجاتها منذ عام ١٩٧٣، والتعديلات الأخيرة التي أجريت على أنها إصلاح لم تلبِّ إلا حاجة السلطة لإعادة إنتاج نفسها في الظروف القائمة، بغية تدعيم جبهة النظام وتطويرها وتوسيعها، واحتواء قوى قد تبرز على الساحة، شرط التزام الخطوط الحمراء التي وضعها النظام، ومنها إعادة انتخاب الرئيس. في هذا السياق تم إلغاء قيادة حزب البعث للسلطة، من حيث الجوهر كان دوره شكلياً، مجرد ديكور يختبئ النظام الأمني وراءه. أما المواد التي تتعلق بالحريات وحقوق المواطنين التي لن تجد طريقها للتطبيق في الظروف القائمة، فتعرقلها وتلغيها القوانين الخاصة مثل قانون التظاهر الذي ينص على معاقبة المتظاهرين بالسجن وبغرامات مالية. غير أن الدستور الجديد لم يتضمن أي تعديل على صلاحيات الرئيس الشاملة في قيادته للجيش، ولمجلس القضاء الأعلى، ومجلس الوزراء وتعيينه، ولم ينس الدستور الجديد التذكير والتأكيد على حق الرئيس القائم بالترشح في الانتخابات القادمة، كما أصبح ترشيح الرئيس بعد تزكيته من قبل خمسة وثلاثين عضواً من أعضاء مجلس الشعب بدلاً من ترشيح الرئيس من قبل القيادة القطرية لحزب البعث، ومجلس الشعب بتركيبته الحالية يمثل السلطة وحلفاءها، مما يغلق باب الترشيح أمام أشخاص معارضين للنظام. ناهيك عن قدرة النظام الأمني وسلطته الكاملة على أعضاء مجلس الشعب لتزكية من يقبل به النظام حصرياً مرشحاً مع الرئيس.

في المقابل المناطق المحررة التي تقع تحت سيطرة المعارضة المسلحة، تعمل وفق قوانين يمكن وصفها بأنها استثنائية وقاصرة، حيث يوجد نوع واحد من المحاكم هي المحاكم الشرعية، التي تقوم بالفصل في جميع القضايا، المدنية من معاملات الأفراد أو قضايا الأحوال الشخصية، كما تحكم في القضايا الجزائية، إضافة إلى قضايا أمن السلطة من أسرى ومعتقلين.

ولا وجود لإجراءات التقاضي ولا لمحامي الدفاع عن المتهمين، بل تقوم العملية على التشاور في الرأي بين أفراد الهيئة الشرعية عبر إجراءات بسيطة، تعتمد أحكاماً مصدرها الشريعة، كما أنه يبت بالأحكام على وجه السرعة. تنتشر المحاكم الشرعية في كل منطقة من المناطق المحررة، في غياب سلطة مركزية على المناطق المحررة، والواقع أن هناك سلطات تسيطر من مواقع القوة لامتلاكها السلاح، على ريف أو مناطق أو حتى أجزاء من مدينة، وتتمتع بكثير من الاستقلالية في عملها وتأمين الحماية للقاطنين من السكان. ليست هناك سجلات أو مراجع إدارية إلا ذات بعد محلي ضيق، كما يسجل عدم توافر كوادر قانونية من قضاة ومحامين في أغلب هذه المناطق، إضافة إلى عدم توافر الأموال اللازمة لتغطية نفقات المحاكم، في المحصلة يمكن وصف الهيئات الشرعية بأنها محاكم استثنائية تقوم بإصدار أحكام عاجلة، وهي هيئات غير مستقلة عن القوة النافذة عسكرياً، وهي حالة تعكس الطابع الأيديولوجي للقوى العسكرية المسيطرة، ذات المرجعية الدينية المحافظة. تعمل هذه الهيئات على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على أساس أن الشريعة تقضي باعتبار الذنوب أفعالاً محظورة، تحدد عقوباتها إما بواسطة عقوبة شرعية «الحد» أو بعقوبة يحددها القاضي تسمى التعزير. والذنوب هي: السرقة والحرابة والزنا وشرب الخمر والقذف والردة، عقوبة السرقة قطع اليد اليمنى، وعقوبة

الحرابة الموت إذا كان الغرض تهديد الحياة والبتر إذا كانت الحرابة بقصد الاستيلاء على الأملاك فقط، أما عقوبة الزنا فالجلد مائة جلدة، وعقوبة السِّفاح رجم المرأة والرجل حتى الموت...

لابد هنا من الإشارة إلى داعش التي رفضت الاحتكام للهيئة الشرعية في حل نزاعاتها مع القوى الأخرى، عندما رفضت إحالة المتهمين من معتقلين وأسرى إلى الهيئات الشرعية، حيث نجد أنها تحكم وتحاكم وفق مبدأ سلطتها المطلقة، وأحكام فردية تصدر عن أمرائها لتحقيق الغلبة من أجل احتكار السلطة، ورفض مشاركة الآخرين لها، وفق سياسة بث الرعب والخوف في نفوس المحكومين لبناء صرح الاستبداد.

وهي إن كانت تنفذ أحكاماً تبرر على أنها من مصدر شرعي، فهي كانت تفصل التهم وتنسبها للناس دون أدلة. وما إن استفردت بحكم مدينة الرقة حتى عملت على فرض سلطانها على المجتمع بإعادة إحياء مصطلح أهل الذمة (المسيحيين)، عودة إلى عهود سالفة، حيث كان غير المسلمين يعدون من رعايا الدولة الإسلامية، وكان يطلق على «الذمي» «الشخص تحت الحماية». في العصر الحديث، وبعد تنظيم الدساتير، تمتع المسلمون وغيرهم من المواطنين بحقوق متساوية على أساس المواطنة، حيث حلت الهوية الوطنية محل الهوية الدينية.

بالعودة إلى تاريخ تطور القوانين الوضعية في سوريا (مثال على ذلك القانون المدني): اتبع الفقهاء أثناء إعدادهم القانون المدني منهجاً تجريبياً حتى يلائم العصر، كانت الخطوة الأولى التي اتخذوها تدوين الأجزاء الملائمة من التشريع الإسلامي، المتصلة بالمعاملات والعقود، مشكلين بذلك قانوناً مدنياً إسلامياً نشر عام ١٨٦٩ تحت اسم «مجلة الأحكام العدلية»، غطت المجلة العدلية (كما أصدرتها السلطات العثمانية) كل من العراق سوريا فلسطين الأردن وغيرها من الدول..

بعد الحرب العالمية الثانية واستقلال الدول العربية أعد الفقيه السنهوري قانوناً مدنياً لمصر، وأقرته سوريا، وأخذ به العراق، وأصبح نافذ المفعول

عام١٩٤٩. في إعداده القوانين المدنية اعتمد السنهوري نهجاً عملياً، فتبنى معياراً للعدل يتألف من مزيج من المبادئ الغربية الفرنسية والألمانية وغيرها، كان يراها موافقة للشريعة الإسلامية، على سبيل المثال أخذ بمعيار بيع الشفعة الإسلامي، وعدل قوانين أخرى لم تكن متفقة مع المعيار الإسلامي ووجد من الصعب تبرير الفائدة وتجنبها مع أنها كانت جزءاً من النظام الاقتصادي القائم، ظل يبحث عن مسوغ يبررها، لقد ميز السنهوري بين الفائدة والربا فأقرها.

وأخيراً لابد من القول إنه منذ عهد أرسطو حتى يومنا هذا مازالت هناك أسئلة تثار حول هوية صاحب السيادة في دولة ما، هل تسند لسواد الشعب، أم للنخب منهم؟ أم للأغنياء فقط، أم لعصابة أشرار، أم لفرد واحد؟ وقد أقر أرسطو في سالف الزمان أن السلطة يجب أن تكون للقوانين المؤسسة على العقل، وإن وُلّي الأمر شخص واحد أو أكثر فلن يكون سيداً إلا عند غياب نص القانون، وقال أيضاً إن القوانين المؤسسة على العقل تتبع بالضرورة الحكومات، فتكون طيبة أو خبيثة، عادلة أو ظالمة. تغير الزمان وأصبح البرلمان اليوم ممثل الشعب، وهو صاحب سلطة التشريع وسن القوانين، وبقي السؤال: كيف تسود هذه الفئة وتلك؟ وكيف تستخدم القوانين المؤسسة على الأهواء وليس على العقل لفرض سلطانها على الشعب بعد تجريده من إمكانية الفعل؟

#سوا لتوجيه سلاح الأسد إلى صدره

• تقرير: فريق تحرير سيدة سوريا

منذ انطلاقة الثورة السورية منتصف آذار ٢٠١١ تزايدت نسبة استخدام السوريين لمواقع التواصل الاجتماعي كمنابر للتعبير عن آرائهم دون سلطات أو قيود، فتطوَّرتْ مهاراتهم الإبداعيَّة في هذا الحقل، وباتوا يعون أهميته في مواجهة آلة القتل التي يطبقها عليهم النظام.

مكنت هذه المهارات عدداً من الناشطين، (بالتزامن مع إعلان بشار الأسد ترشّحه للانتخابات الرئاسية وإطلاق مؤيديه لحملة انتخابية تحت عنوان «سوا»)، من إطلاق حملة مضادة تحمل الاسم ذاته «سوا»، خصصوا لها صفحة على الإنترنت كتبوا فيها: «معاً لنشر جرائم الأسد عبر استخدام هاشتاغ حملته، لأن المؤيدين سيساعدوننا في هذه الحالة على الانتشار وسيأخذ الهاشتاغ تصنيفاً عالمياً.. معاً لنشر صور أطفالنا وأمواتنا ودمارنا مع شعار حملة القاتل #سوا».

الصحفية والناشطة جفرا بهاء، صاحبة فكرة هاشتاغ سوا، تحدثت لموقع «كلنا شركاء» عن الحملة وأهدافها قائلة: «الهدف من استخدام الهاشتاغ هو الاستفادة من نشر المؤيدين بأنفسهم للهاشتاغ الخاص بهم، كتسويق لحملتهم الانتخابية، مما يساعد على دفع الهاشتاغ إلى مراتب متقدمة على مستوى العالم، مع التركيز على نشر الصور وليس البوستات، لكي يطغى عدد الصور التي ننشرها على صورهم، وستصبح جرائم الأسد مرافقة لشعار حملته الانتخابية ذاتها مستفيدين من تمويله الضخم لحملته، الخطة باختصار هي توجيه سلاح الأسد إلى صدره».

على الفور نالت الخطوة رضى ومتابعة من النشطاء الذين تلقفوها وانهالوا عليها بالتعليقات الساخرة، يقول أحدهم معلّقاً على الهاشتاغ: «لا أنت رئيسي ولا ربينا #سوا»، فيما كتبت «لولو الشام» تعليقاً تستهزئ فيه من عبارة «منحبك يا كبير» الشهيرة (التي رافقت تجديد البيعة لبشار الأسد عام ٢٠٠٧)، تقول فيه: «#سوا منكبك يا صغير».

وأشارت الصحفية جفرا بهاء إلى التفاعل الكبير الذي قوبلت به الفكرة من قبل النشطاء على الأرض بقولها: «استقطبت الصفحة عدداً كبيراً من الناشطين الميدانيين، إضافة إلى بعض الصفحات الثورية، مثل صفحة الزبداني، ومركز داريا الإعلامي». وأعربت في المقابل عن استغرابها «من تجاهل غالبية المثقفين للفكرة، أو التعامل معها بفوقية وعدم اكتراث، ولا حتى بنشر صورة واحدة من صورها على صفحاتهم الشخصية».

وانطلاقاً من تركيز الناشطين والقائمين على إدارة حملة «سوا المضادة» على الصور، لإظهار جرائم النظام وكشفها أمام الرأي العام العالمي، نشر أحد الناشطين صورة لطفل حزين يجلس على ركام بيته الذي دمرته براميل النظام، وعلق على الصورة قائلاً: «#سوا .. شاركوا لزيادة اليتامى بانتخاب الأسد».

وعلى الرغم من التفاعل الضئيل من قبل المثقفين والفنانين السوريين، مع هاشتاغ «سوا» المضادة للأسد، كما أشارت صاحبة الفكرة، إلا أن بعضهم قاموا بالتعليق على المنشورات ومشاركتها، الكاتب السوري نجم الدين السمان نشر تعليقاً ضمن الحملة المضادة يقول فيه: «#سوا .. لِنهب ما تبقى من بيوت السوريين».

ويبدو أن مسألة الانتخابات في سوريا قد راقت لرسامي الكريكاتور أكثر من غيرهم، حيث وجدوا فيها مادة غنية بسخرية سوداء، تعكس حقيقة الحالة السوريالية المؤلمة التي تعيشها البلاد، في ظل قصف الأسد للمدنيين بالبراميل المتفجرة (لمجرَّد تجرؤهم على رفع أصواتهم في وجه استبداد دام نصف قرن) من جهة ، ودعوته السوريين للمشاركة في «انتخابات تعددية» تحكمها صناديق الاقتراع من جهة أخرى. الرسام السوري «كاميران شمدين» نشر لوحة كاريكاتورية للتعبير عن الحالة الراهنة، تضمنت يداً بإصبع مقطوع تبصم على ورقة انتخابية، وإلى جانب دواة الحبر أصابع كثيرة مبتورة تنتظر دورها لتبصم.

هذا ويتلقى القائمون على إدارة حملة «سوا» المضادة رسائل تهديد من قبل «الشبيحة»، تتخللها تعليقات تحمل كلاماً بذيئاً، يقول عنها أحد النشطاء في الحملة: إنها «تعبر عن سوية أخلاق هذه العصابة التي ادعت مؤخراً الديمقراطية والتعددية».

المرأة الكردية.. خيارات الحرية والوعي المجتمعي

• خوشمان قادو

إنّ ما تمتلكهُ المرأة من مزايا وقدرات تَدحضُ كلّ الآراء والأفكار التي كانت تُكال بحق المرأة، المرأة التي استطاعت القيام بالثورة الزراعية وتدجين الحيوانات، كذلك تعزيزَ مفهوم الاستقرار في ذهنية الإنسان، هذه المرأة ليست بعاجزة عن القيام بما يترتب عليها من مهام كعنصرٍ وعضوٍ فاعل في المجتمع في الوقت الراهن، لكنّ النظام السلطوي/التسلّطي الذكوري سعى جاهداً إلى إفراغ المرأة من ذاتيتها، كذا حاول بشتى السُبل القضاء على ثقافة المرأة المتأصّلة.

مع بداية انتشار الفكر العشائري الذي طغى على شكل المجتمع الشرق أوسطي، بدأ التمهيد لبروز الكثير من الجوانب السلبية في مستوى المفهوم والفكرة، الوعي المجتمعي لم يكن قادراً على إشراك المرأة في ملامح المجتمع العامة، فعمد إلى إقصاء المرأة وتجريدها من كامل حقوقها، فاقتصرت مهامها على ملامح الحياة الأساسية كما يُرسم لها. على أنّ غياب الطبقة البرجوازية في المجتمع الكردي والعربي على وجه الخصوص، وانقطاع صيرورة الوعي والفكر تحت مُسمّى الدين منذ نشوئها حتى مرحلة الحداثة، أصّل للملاءمة بين المرأة ومفهومي السلعة بشكله الأوسع، ووضعتها في قوالب جسدية مفرّغة من الفكر والوعي، حتى المرأة ذاتها لم تعد قادرة على النأي بنفسها عما يُنسب إليها من مفاهيم جديدة.

رغم عدم رضاها عن الوضع الذي صارت إليه، إلّا أنها لم تستطع أن تحرّك ساكناً، وخاصةً في ظل أنظمة لم تُفكر يوماً في معالجة مشكلات المرأة، بل على العكس كانت تُسهم أكثر في تكريس مفاهيم مجحفة بحق المرأة والمجتمع معاً، لذلك بقيت مجتمعاتنا القابعة تحت سلطة الأنظمة المنافقة، والتي زرعت النفاق في نفوس قادة المجتمع، عليلة وغير قادرة على إيجاد حلول لحريتها وذاتيتها قبل حرية وذاتية المرأة.

لم يكن وضع المجتمع الكردي في سوريا بعيداً قطّ عن وضع المجتمع العربي، رغم الاختلاف الإثني والثقافي، إلّا أن التداخل الحضاري بين المكونين في سوريا جعل منهما متقاربين في مسألة المشاكل والصعوبات التي تعترض طريق المرأة إلى حدٍ كبير.

لم يكن وضع المجتمع الكردي في سوريا بعيداً قطُّ عن وضع المجتمع العربي، رغم الاختلاف الإثني والثقافي، إلّا أن التداخل الحضاري بين المكونين في سوريا جعل منهما متقاربين في مسألة المشاكل والصعوبات التي تعترض طريق المرأة إلى حد كبير، المرأة الكردية تعرّضت للكثير من العنف، كذلك كانت تتصدر لائحة جرائم الشرف، بالإضافة إلى حرمانها من حق التعلّم، وإجبارها على الزواج في سنّ مبكر «زواج القاصرات». ربما الوضع الكردي العام لم يفسح المجال أمام الوقوف بجدية على هذه المواضيع الإشكالية، لكن مع بداية الحراك الثوري في سوريا بدأت تظهر ملامح جديدة في حياة المرأة السورية عموماً، والكردية خصوصاً، ففي مدينة مثل قامشلو، كانت النساء من جميع المكونات: كرد، عرب، سريان، آشور وأرمن مشاركات في المظاهرت إلى جانب الرجال، ربما يشاركن بالشكل المطلوب (أعداد قليلة)، إلّا أنّ إمكانية كسر المفاهيم القديمة وتنامي وعي الشخصية بدأت تتبلور لديهنّ، حيث توضّح عندهنّ أنّ الشعور بالمسؤولية هو إحدى وسائل بناء الشخصية. المرأة في المناطق الكردية (الجزيرة) كانت بحاجة إلى تأكيد ذاتيتها المبدعة والكادحة والمقاتلة أيضاً، مع العلم أنّه لا يخلو تاريخ مجتمع أيّ مكون من مكوّنات تلك المنطقة من أسماء نسوة كنّ على قدر من المسؤولية في واجباتهنّ كأفراد في مجتمع تعدُّ كل واحدة منهن النواة فيه، حتى أكثر من الرجال أنفسهم، لكنّ تأجيج الصراع بين المعنى والمفهوم كان يحبط كل محاولات المرأة في هذه المنطقة لتجاوز القيود المفروضة عليها من قبل جهات عديدة، كما أنّ التركيز على الشكل دون المضمون (المنهج الشعاراتي)،لم يفلح في وضع حلول لمشكلة حرية المرأة، بسبب غياب الجدية في الطروحات، وكذلك قياس حرية وكنه المرأة بالمساواة مع الرجل، الأمر الذي جعل من المرأة تنكفئ على ذاتها وترضى بما آل إليها حالها!.

ما يجري الآن على الأرض من إشراك المرأة في كل مفاصل الحياة، يؤكد مدى جديّة تناول

موضوع حرية المرأة (الحرية الواعية والمسؤولة). إنّ العدد المتنامي لمنظمات وجمعيات ومؤسسات المرأة الكردية أفسحَ المجال أمام عثورها على شخصيتها المسلوبة والمتبعثرة بشكلٍ أسرع من مثيلاتها في المكوّنات الأخرى، عقودٌ من الزمن والمرأة الكردية لها مكانتها الفاعلة في الحركات والتنظيمات، سياسياً وثقافياً وحتى عسكرياً، وليس بالأمر الطارئ ما يحصل الآن من تغيير في بنية الوعي والفكر لدى الفرد والمجتمع معاً في المجتمع الكردي، هذا التغيير لم يقتصر على المجتمع الكردي فقط بل طال ذهنية وبنية الوعي لدى المكونات الأخرى أيضاً، لقد تم إشراك المرأة العربية، وكذلك السريانية إلى جانب المرأة الكردية في الحياة السياسية، وثمة من حملَت السلاح منهنّ، وأيضاً الحياة الثقافية والفنية لم تُغيّب أبداً. لكنّ الأمر الذي جسّد قدرة المرأة على الإبداع وإيجاد ما يؤكد كينونتها بعيداً عن السياسة والعسكرة هو تأمين مشاريع صغيرة للمرأة، تعمل فيها، وتقوم من خلالها بتأمين متطلباتها ومتطلبات منزلها أيضاً. إنّ هذه المشاريع التي استطاعت منظمة اتحاد ستار (منظّمة فاعلة تعنى بالمرأة) أن تنفّذها من خلال فتح محال لصناعة وبيع الحلويات، كذلك ورش لصناعة الألبسة والحرف اليدوية، كانت بمثابة تصحيح لنظرة المرأة إلى نفسها، وفي نفس الوقت نظرة المجتمع إليها، في هذه المحال والورش تعمل المرأة الكردية والعربية جنباً إلى جنب، حيث إنّ مفهوم العيب لدعوى ذهاب المرأة إلى العمل، وكذلك إلى التعليم أو ممارسة أي حق من حقوقها في المجتمع غاب كقيمة كان يحتذى بها في المجتمع الذي كان يعدُّ تلك المواضيع ضمن دائرة المحرّمات والتابوهات، ويصف كل امرأة تقوم بتلك الحقوق بمسميات وأوصاف بعيدة عن أخلاق الفكر والوعي.

إنّ مشاهدة المرأة وهي تعمل، تعزّز مكانة المرأة المبدعة القادرة على بناء المجتمع، كذلك تُبعدها عن الإشكالية المرتبطة بتحرّر الذهنية الرجولية من جرائم الشرف، كما تُبعدها عن الجو الملحمي المرتبط بقصص الحبّ. عن طريق هذه الثقافة ستلعبُ المرأة دوراً رائداً وبارزاً في تغيير المفاهيم الإشكالية في المجتمع عموماً، لأنها تُدرك تماماً مدى ضرورة إصلاح الإنسان والمجتمع، كذلك تعي تماماً ضرورة الإطار الجمالي العام المتناسق مع الإطار الجمالي الخاص، بعيداً عن الفكر الإيديولوجي والسياسي.

المرأة الكردية ومن خلال ما تقوم به الآن، تُثبت يوماً بعد يوم أنها لم تعد تلك الأنثى التي تجلب العار لعائلتها، بل إنّها غدت قادرة على ممارسة ما يقوم به الرجال وأكثر، فهي تسعى كامرأة كردية إلى تأصيل هذه الثقافة في المجتمع عموماً حتى تكون النواة الفكرية والمعرفية لسوريا الجديدة.

إنّ حالة الدمار التي طالت كلّ شيء، وعلى الرغم من جرحها لذاكرتنا لعقود قادمة، أسهمت في تدمير حالة الركود في نظرتنا إلى تقسيم المجتمع إلى امرأة قاصر ورجل مدافع، ثمة شيء ما يُبنى ليس بدرجة وعي كاملة، وإنما بإحساس به بدرجة عالية، الجميع يُحس ويدرك ما تؤولُ إليه حركة التدمير، وما يرافقها من بناء، لكنّ ما يكتب هو رصدٌ بطريقة ما لهذه الدينامية تخيب في توثيقها أو تصيب.

إنّ رصد حركة حرية المرأة ومآلاتها من لدن الرجل، وبدون أن يظهر على شكل وصايات، لهو من إحدى هذه النتاجات التي ترفد حركة البناء التي تتوازى مع حركة الدمار.

وطي صوتك «سـوريا تنتخب»

• فريق تحرير سيدة سوريا

يواجه السوريون طيران النظام وبراميله وحاوياته المتفجّرة، بأسلحة بسيطة أحياناً، وبصدور عارية وأجساد منهكة أحياناً أخرى. لكن، ثمّة حرب أخرى، أكثر ضراوة وبعداً عن الأخلاق من تلك التي يشنها النظام على السوريين، حرب قوامها النفاق وادعاء الديمقراطية، بتنظيمه انتخابات رئاسية في سوريا، في ظلّ كل هذا الإرهاب والقتل الذي يمارسه نظام الأسد.

ويحاول السـوريون ألاّ يقفوا مكتوفي الأيدي حيال هذه «البروباغندا» السـاذجة، التي لن تنطلي إلا على من فقد بصره وبصيرته، وأبى إلا أن يمضي في دروب العبودية مغلق العينين، منسلخاً عن الواقع، أو توافق معها متحولاً إلى شاهد زور.

بين الحملتين، نقطة واحدة، ومئات آلاف الجثث

من بين الحمـلات الدعائية التي طرحتها الآلة الدعائية لبشـار الأسـد، حملة تحـت عنوان «سـوريا تنتخب»، اعتمد فيها على «وجوه لطائفين في الفن والسياسة أنتجتهم الأزمة في البلاد، لتلميع صورة بشار الأسد وقد غاصت يداه عميقاً في دماء السوريين» بحسب وصف أحد المعلقين على مقطع فيديو للفنان السوري مصطفى الخاني، يحض من خلاله السوريين على التوجه إلى صناديق الاقتراع «لاختيار من سيقود سوريا إلى غد أفضل» بحسب الفيديو الذي تحدث فيه الخاني، وبُثَّ على موقع اليوتيوب وقناة «سما» التابعة للنظام السوري.

حيث شارك في حملة بشار الأسد: «سوريا تنتخب» عدد من الفنانين والممثلين من بينهم، سلمى المصري، شادي أسود ودريد لحام، من خلال مقاطع فيديو وأخرى صوتية بثت على قنوات النظام، لدفع السوريين للمشاركة في المهزلة الديمقراطية، حسب وصف الكثيرين.

في المقابل أطلق نشـطاء سـوريون حملةً مضادة لحملة النظام «سوريا تنتخب»، قالوا إنها «لفضـح جرائم النظام وهزلية ما يدعي أنها انتخابات ديمقراطية». وأطلق النشـطاء على حملتهم اسم «سـوريا تنتحب»، في إشارة إلى كم البكاء والعويل الذي رافق قتل السوريين منذ أكثر من ثلاث سنوات.

أحد النشـطاء المشاركين في الحملة، التي نظمها سـوريون في تركيا وريف حلب على وجه الخصوص، تحدث عن ماهية وأسـباب الحملة قائلاً: «أي مهزلة هذه التي يتحدثون عنها بعد ٧ ملايين مهجر في الداخل الخارج؟! أي انتخاب بعد عشرات آلاف الشهداء ومئات آلاف المعتقلين؟ سوريا لا تنتخب بل تنتحب، لذلك (وطي صوتك) مقاطعاً الانتخابات، ليعلو صراخ المعتقلين وصوت الشهداء والحرية.

وتعتمد الحملة التي اتخذت لها صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك وتويتر» واستقطبت على الفور آلاف المشاركات والمتابعين، على نشـر فيديوهات وصور تجسد معاناة السـوريين، وتركّز على «كم الخديعة في مسـرحية الانتخابات، التي يصر من خلالها النظام على تمرير نفاقه».

جدير بالذكر أن تحركاً شـبابياً شهدته الأحياء الخاضعة لسيطرة النظام داخل مدينة حلب، «لتوعية الناس هناك وتشـجيعهم على مقاطعة الانتخابات». بحسـب الناشط أمير الحلبي، الذي أضاف «أن النظـام روّج لحديث عن مهاجمة تجمعـات المدنيين بالقرب من مراكز الاقتراع، وهذا الأمر عـار عن الصحة، فلا يمكن لكتائـب الثوار الاعتداء على المدنيـين الذين هم محاصرين بدورهم وما خرج الثوار إلاّ لتحريرهم وحمايتهم»، يختم أمير.

سوا للموت

Together to Death

30 May 2014

أنتجـت مجموعـة «ضايعـة الطاسـة» الفيلـم القصير «سـوا للموت»، الذي يحكي قصة أحمـد الإبراهيم، واحد من بـين مئات آلاف المدنيين السوريين الذين طالتهم وحشـية نظام الأسد وهمجيته داخل الأراضي السورية. الفيلم فكرة وإخراج معن وطفة، ومن إنتاج مجموعة ضايعة الطاسة. بطل الفيلم هو أحمد الإبراهيم الذي تعرض منزله في حي الشـعار بمدينة حلب لقصف عنيف مصدره قوات النظام وذلك قبل حوالي عشـرة أشـهر، ما أدى إلى تدمـيره وإصابته هو. لم يمت أحمد، بل مات جزء منه، لكنه بعد إصابته بات يتمنى الموت ألف مرة كونه أصبح عاجزاً لا حـول له ولا قوة وهو في مقتبل عمره. حاول معن وطفة في هذا الفيلم تسليط الضوء على الحالة الإنسانية والنفسية التي يعيشـها إبراهيم والعديد من مصابي الحرب، سواء المدنيين منهم أم العسكريين في ظل تضافر الرعاية الصحية والتأهيل النفسـي من قبل المنظمات الإنسـانية، ولفت انتباه تلك المنظمات لضرورة إعادة تأهيل هؤلاء المصابين ومسـاعدتهم في العودة لممارسـة حياتهم الطبيعية. كما حاول معن التركيز على الاستمرار في الوقوف ضد شرعية بشار الأسد واستمراره في الحكم بسـبب ما يرتكبه من جرائم وحشية ومجازر دموية تفوق حدود الانسانية، وأن الانتخابات الوهمية التي يقودها تحت مسمى «سوا» لا تعني إلا «سوا لمزيد من القتل والدم لمن لا يؤيد الأسـد». في نهايـة الفيلم أراد أحمد أن يوصل رسـالة للعالم الذي مـا زال صامتاً متفرجاً (أن اسـتيقظوا وأيقظوا ضمائركم، فنحن ما نزال هنا... صامدين).

الفيلم كما ذكرنا من بطولة أحمد الإبراهيم، الفكرة والإخراج لمعن وطفة، محمد قطان كان مساعد المخرج، والتصوير ليوسـف حلـي ومحمود حبو.

داعيات دمشق وريفها يروجن لبشار الأسد من قلب المسجد الأموي

• فريق تحرير سيدة سوريا

بثت قناة «الإخبارية السورية» في ٢٥ أيار ٢٠١٤ لقاء لمن سموهن «داعيات دمشق وريفها» عقد في المسجد الأموي بمناسبة اقتراب «الاستحقاق الرئاسي»، جمع ما يقارب ٤٠٠٠ داعية وفق ما أوردت صحيفة البعث.

واكتفت وسائل إعلام النظام بتسمية السيدات المجتمعات «داعيات دمشق وريفها»، فيما أشارت صفحة (حرائر الثورة المنشقات عن تنظيم القبيسيات) أن المجتمعات هن من تنظيم القبيسيات، ونشرت الصفحة رابط الفيديو الخاص بالاجتماع تحت عنوان: «لأجل هذا الضلال وهذا النفاق كان انشقاقنا».

وجاء في المنشور: «صفات ليست وليدة الساعة، بل مبنية على منظومة فكرية وسلوكية وصلت بهن إلى هنا، نسأل الله أن تحشرن مع بشار وحافظ وأن يجعل كل قطرة دم سفكت في سوريا من شهيد أو فتاة مغتصبة في أعناقكن».

وعودة إلى ما بثته قناة الإخبارية السورية، بدأت «الداعية نداء حرم أغاسي» اللقاء بكلمة حثت فيها المجتمعات على الانتخاب قائلة: «الصوت بهذه المناسبة العظيمة يعني الوطن، يعني حب الوطن لأنه سلاح وضاء في مرحلة وطنية حاسمة»، وأشارت في معرض حث السيدات على الانتخاب، إلى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، (كلكم راع وكل مسؤول عن رعيته)، ثم تابعت فأسهبت في ذكر فضائل «بشار الأسد» بقولها: «لا ننسى عطاءات الوطن وعطاءات قائد الوطن السيد الدكتور بشار حافظ اللأسد حفظه الله ورعاه، حيث كرمت المرأة السورية بشكل عام والداعيات بشكل خاص».

«الداعية سوسن فلاحة» قالت بدورها:«عندما نتساءل لماذا يستهدفون دمشق اليوم نتذكر الربيع الحقيقي الذي كانت تعيشه سوريا قبل بدء هذه الأزمة وما زالت، حيث مساجد سوريا ملأى بمجالس العلم والذكر والقرآن،...،من أجل ذلك تخوض سوريا المعركة اليوم دفاعاً عن قيم الأمة»، وختمت حديثها بالتأكيد على انتخاب الأسد بقولها:»عندما يأتي الاستحقاق في مثل هذا الظروف نجد أنفسنا جميعاً مدعوين إلى كلمة صدق مع الله أولاً، ومع الوطن ثانياً، ومع قائد هذا الوطن السيد الدكتور بشار حافظ الأسد، الذي قاد المركب في هذه العاصفة الهوجاء وقدم هذا الفكر الحضاري الاستثنائي، وهذا باسمي وباسم أخواتي الداعيات جميعاً في القطر العربي السوري».

وفي كلمة «للداعية خديجة الحموي» أسبغت فيها صفات القداسة والشرعية على استفتاء الأسد بقولها: «ونحن اليوم كداعيات نعلنها من منبر جامع بني أمية الكبير، باسم الله تجديد بيعة الولاء والوفاء لسيادة رئيس الجمهورية بشار الأسد، نقول له نعم كلنا معك» ، وأضافت: «من خلال تجربة الشعب مع القائد خلال مسيرته، ....، أصبح اليوم الاستفتاء وتجديد العهد حاجة وطنية وضرورة شرعية في ظل الظروف الراهنة»، لتختم بالقول: «نقول نعم لمن سيعيد لسوريا أمنها وأمانها بإذن الله».

ختام اللقاء كان مع «الداعية الأستاذة خلود خادم سروجي» كما تم تقديمها، التي قالت: «حان الوقت يا سيادة الرئيس مع أمهات وداعيات أن نبرهن لك يا من أعطيت شعبك حبك وحياتك وعمرك، لنبادلك الآن مع الاستحقاق الرئاسي الحب بالحب والوفاء بالوفاء»، وختمت الاجتماع «لاهجة بالدعاء» حسب صحيفة تشرين، سائلة الله أن « يحفظ الشام والقائم على أمر الشام».

الجدير ذكره أن اللقاء الذي نقلته الإخبارية السورية أظهر ولأول مرة مئات النساء يجلسن على كراسي داخل قاعة الصلاة الرئيسية في جامع بني أمية، في سابقة تعتبر استخفافاً بقداسة وخصوصية

المسجد، حسب ناشطين، علماً أن حافظ الأسد في المرات التي ظهر فيها هناك ضمن طقوس صلاة العيد، كان يجلس على الأرض، وتتضح خصوصية الحالة إذا ربط ما حدث، بأن سوق الحميدية الواقع على بعد أمتار قليلة من المسجد يشهد بشكل شبه يومي «لطميات» وحضوراً لمسيرات يقيمها مئات الشيعة في طقوس التكفير عن خذلانهم «للحسين بن علي في كربلاء»، حسب اعتقادهم، يرددون أغانيهم التي تندد بالأمويين، بل يتوعدون عاصمتهم دمشق بالذل والهوان، يضاف إلى ذلك صور «علي خامنئي» و«حسن نصر الله» التي باتت تملأ شوارع وساحات دمشق.

يرى الصحفي «محمد .م» من دمشق «أن هذه الانتخابات ليست سوى مهزلة غير قابلة للتصديق، وأن ما يحدث هو شكل من أشكال إمعان النظام في عرض قوته، والتباهي بأنه ما زال يحكم هذه البلد بالقوة، وأن إرادته ما زالت نافذة، وأنه ما زال قادراً على طمس كل معالم الجرائم التي ارتكبها، وهذه إحدى الرسائل التي يريد إيصالها لمؤيديه، بأن هؤلاء الداعيات «السنيات» هن من يمثلن السنة فلا تقلقوا، كل الذين نقتلهم ليسوا سوى أصوات مغمورة نستطيع تغطيتها، كما فعلنا في ١٩٨٢ وغيرها».

ويضيف: «دمشق تعيش في التاريخ ولا تعيش واقع اللحظة اليوم، دمشق اليوم تدفع تصفيات حسابات قديمة لطائفيين مثل بشار الأسد وحسن نصر الله ونظام الملالي الإيراني، وتخضع لاحتلال ميليشيات الأسد وحلفائه الذين يحكمونها اليوم بالقوة، كل ذلك يحدث وسط ترويج تقوم به شخصيات كداعيات دمشق وريفها، يعتلين منابر الدم والأشلاء، يهزجن للقائد «الرمز!» على وقع البراميل ورائحة السلاح الكيماوي».

تمكين المرأة

• ميّة الرحبي

التمكين هو الترجمة العربية لمصطلح Empowerment ، والذي يعني امتلاك الفرد للقوة Power، ليصبح عنصراً مشاركاً بفعالية في مختلف جوانب الحياة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، بمعنى امتلاكه القوة والقدرة على إحداث تغيير في الآخر، الذي قد يكون فرداً أو جماعة أو مجتمعاً بكامله. ويتطلب ذلك تنمية الذات المشاركة وتطوير قدراتها وفعاليتها ووجودها، وبالتالي يرتبط مفهوم التمكين ارتباطاً وثيقاً بمفهوم تحقيق الذات أو حضورها، وتعزيز قدراتها في المشاركة والاختيار الحر، أو ما يختصره مفهوم تعزيز القدرات (التقرير الوطني الثاني للتنمية البشرية ٢٠٠٥).

ووفقاً لتعريف صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة (اليونيفيم)، يعني التمكين «العمل الجماعي في الجماعات المقهورة أو المضطهدة لتخطي أو مواجهة أو التغلب على العقبات وأوجه التمايز التي تسبب تردي أوضاعهم أو تسلبهم حقوقهم»، على حين تذهب اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (إسكوا) إلى أن التمكين هو «تلك العملية التي تصبح المرأة من خلالها، فردياً وجماعياً، واعية بالطريقة التي تؤثر من خلالها علاقات القوة في حياتها، فتكتسب الثقة بالنفس والقدرة على التصدي لعدم المساواة بينها وبين الرجل».

التمكين يتطلب القوة التي يمكنها أن تفرض التغيير، ويصبح ذلك متعذراً في حال كانت القوة متوارثة بين عدد من الأفراد أو المواقع، في حين يغدو التمكين متاحاً لجميع البشر في حال كانت القوة قابلة للتمدد وليست محدودة بطبيعتها، ومن هنا ينبغي أن نعرض لماهية القوة وبعض تعريفاتها، ونتطرق كذلك لمفهوم الضعف باعتباره مقابلاً للقوة.

هناك عدد كبير من التعريفات لمفهوم القوة تتفاوت فيما بينها، فهناك التعريف التقليدي الذي يشير إلى أنها تعني السيطرة على الموارد المادية والأصول المالية والفكرية والأيديولوجية وما إلى ذلك، وهناك تعريف ماكس فيبر الذي يرى أنها «قدرتنا على جعل الآخرين يفعلون ما نريد بغض النظر عن اهتماماتهم أو رغباتهم»، وقريب من هذا تعريف كارلسبرج للقوة باعتبارها «القدرة على التنفيذ»، أما جين بيكر ميللر فتذهب إلى وجهة مغايرة حين تعرفها بأنها «القدرة على التحرك صوب التغيير أو إنتاجه».

ويستشف من وراء هذه التعريفات أن مفهوم القوة لم يكن مفهوماً إيجابياً أو حتى حيادي الدلالة، بل مفهوماً محملاً بالدلالات السلبية المؤسسة على الصراع من أجل الاستيلاء على الموارد والمحاولات القسرية لإحداث التغيير دون توضيح لكيفيته أو تحديد وسائله وأدواته، وتكاد الأدبيات التي تناولت القوة تجمع على أنها تؤسس على ثلاثة مفاهيم أو معانٍ أساسية، هي: التحكم، والهيمنة، والتأثير، ويضيف البعض إليها السلطة. وهذه المعاني مستبطنة بدورها ضمن مفهوم التقوية أو التمكين باعتبار القوة المفردة الأساسية في المفهوم.

كما ترفض هذه الأدبيات النظر إلى القوة بوصفها بنية ثابتة يسهل الاستحواذ عليها، وإنما ينظر إليها (وفق التعريفات الموسعة والمرنة) بوصفها مخرجاً لعملية التفاعل بين البشر بعضهم البعض وبينهم وبين الأشياء، وبهذا المعنى تكون عملية متغيرة في حد ذاتها وبمقدورها إحداث التغير في حياة الأفراد والمجتمعات.

وفي مقابل القوة هناك الضعف الذي يتمثل بصورة أساسية في عدم القدرة على اتخاذ الأفراد أفعالاً من شأنها إحداث التغيير في حياتهم، وهذا الضعف يبدو على المستويين الفردي والمجتمعي، وتميز بعض الدراسات بين نوعين من أنواع الضعف: الضعف الحقيقي الذي هو محصلة عدم كفاية الموارد الاقتصادية وسوء توزيعها، والضعف المتوهم أو ما يطلق عليه «فائض الضعف» ويعني الاعتقاد بعدم إمكانية حدوث التغيير، وهو ما ينتج عنه الفتور وعدم رغبة الإنسان (فرداً كان أم جماعة) في أن يناضل من أجل السيطرة على الموارد (مفهوم التمكين ومجالاته التداولية: فاطمة حافظ).

تعريف التمكين:

هناك عدد من المحددات التي أسهمت في بلورة مفهوم التمكين وتحديد معانيه ودلالاته، وفي مقدمتها علاقته بمفهوم القوة كما أسلفنا، وثانيها ارتباطه بمسألة «التحكم الشخصي» أي قدرة الإنسان على أن يتحكم في مسار حياته تغييراً أو تعديلاً، وثالثها النظر إلى التمكين بوصفه عملية ذات أبعاد وتجليات مختلفة، فهي:

– عملية اجتماعية متعددة الأبعاد: تتم على الأصعدة السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية

وتتنقل بينها جميعاً دون أن تقتصر على صعيد بعينه، ومن جهة أخرى هي عملية تجمع بين المستويين الفردي والمجتمعي، وذلك حين تفترض أن تمكين الفرد يؤدي في نهاية المطاف إلى تمكين المجتمع.

– **عملية تغييرية:** تستهدف حصول الأفراد على القوة، وتفترض أن هذا يتم من خلال اكتساب المعلومات الخاصة بهم وبالبيئة التي يعيشون فيها، ومن خلال التطلع نحو العمل مع الأفراد والمؤسسات من أجل إحداث التغيير المطلوب في المجتمع.

– **عملية تفاعلية:** هي نتاج التفاعل بين خبرات الأفراد بعضهم البعض والتي ينتج عنها التغير الاجتماعي وغايتها أن يتمكن الأفراد من العمل لإحداث التغيير من خلال المؤسسات ذات التأثير في حياتهم ومجتمعاتهم.

– **عملية تنموية:** تبتغي زيادة وعي الأفراد بقدراتهم، وتحثهم على تطويرها ليصبحوا مؤهلين للحاق بعملية التنمية، (مفهوم التمكين ومجالاته التداولية: فاطمة حافظ).

وقد بدأ هذا المصطلح يأخذ مكاناً بارزاً له في بداية التسعينات، وبدأت تتوضح معالمه في توصيات مؤتمر التنمية والسكان الذي عقد في القاهرة ١٩٩٤، **وفيما بعد في مؤتمر المرأة في بيجنغ عام ١٩٩٥، الذي ركز على عدة نقاط تتعلق بتمكين المرأة:**

١. الفقر الذي يلقي بأعبائه على المرأة، ومعروف مدى انتشاره بين النساء الذي عبرت عنه المقولة الشهيرة «الفقر امرأة»، فالفتيات الفقيرات ممن يعشن في مناطق نائية أو ينتمين لأقليات ليس بوسعهن حتى الآن الانتظام في المدارس بالسهولة التي يتمتع بها الفتيان. والنساء أكثر احتمالاً من الرجال لأن يعملن في مهن أقل أجراً، وأن يزرعن مساحات أصغر من الأرض ويدرن شركات أصغر في قطاعات أقل ربحية.

٢. عدم المساواة بين المرأة والرجل في التواجد في مواقع السلطة ومراكز صنع القرار.

٣.عدم المساواة في المشاركة السياسية والاقتصادية، وعملية الإنتاج والاستفادة من الموارد.

وسواء عملت النساء في الزراعة أو امتلكن مشاريع حرة، فإنهن يكسبن دخلاً أقل من الرجال: (٢٠٪) أقل (من الرجال) في المكسيك ومصر، و(٤٠٪) أقل في جورجيا وألمانيا والهند، و(٦٦٪) أقل في إثيوبيا. وتظل النساء، ولاسيما الفقيرات منهن، أضعف صوتاً في اتخاذ القرار وأقل سيطرة على موارد الأسرة من الرجال. والمرأة أقل من الرجل على نحو ملموس في التأثير والتمثيل في المجتمع ونشاط الأعمال والسياسة، مع فارق ضئيل بين البلدان الفقيرة والغنية.

٤. عدم المساواة في الاستفادة من الخدمات الصحية، وخاصة الصحة الإنجابية، ومع ذلك، فإن «فقدان» أربعة ملايين فتاة وامرأة كل عام في البلدان النامية مقارنة بنظيراتهن في البلدان المتقدمة هو حدث يمر دون أن يلحظه أحد. ولا يُكتب لنحو خُمسَي هذا العدد أن يرين نور الحياة، ويموت السُدس في مرحلة الطفولة المبكرة، في حين يموت أكثر من الثلث في سن الإنجاب.

٥. عدم توفر الآليات الفعالة اللازمة للنهوض بوضع النساء.

مؤشرات التمكين:

هناك ثلاثة مؤشرات أساسية على التمكين:

١. التمكين السياسي، ويقاس بـ:

– نسبة النساء في المجالس النيابية.

– نسبة النساء في المجالس المحلية.

– نسبة النساء المشاركات في التصويت والانتخابات.

٢. التمكين الاقتصادي، ويقاس بـ:

– نسبة معدلات توظيف النساء.

– نسبة تواجد النساء في مواقع صنع القرارات الاقتصادية.

– نسبة الملكية.

– نسبة المصروفات على الصحة والتعليم ونسبة النساء المستفيدات منها.

– الفروق في المرتبات والأجور بين النساء والرجال.

– نسبة مشاركة أفراد الأسرة في الأعمال المنزلية.

– الفرص المتوفرة للنساء لتطوير قدراتهن التقنية في القطاعين الحكومي وغير الحكومي.

٣. التمكين الاجتماعي، ويقاس بـ:

– نسبة النساء في مراكز صنع القرار بالعدد الكلي للأفراد في القطاعات الحكومية وغير الحكومية.

– نسبة النساء في مؤسسات المجتمع المدني.

– حرية اتخاذ القرار المتعلق بالإنجاب.

– حرية الحركة داخلياً وخارجياً وفي جميع مناحي الحياة مقارنة بالرجال.

٤. التمكين الصحي، ويقاس بـ:

– معدل وفيات الأمهات.

– توفر خدمات الصحة الإنجابية.

إذ لايمكن للمرأة أن تعي حقوقها وتدافع عنها دون أن تكون متمكنة من السيطرة على شؤون حياتها، ومتحكمة في مسيرة حياتها ومصيرها عن طريق تحقيق ذاتها، وذلك لن يتم دون تمكنها من الاستفادة من موارد الإنتاج والدخول في العملية الإنتاجية وتحقيق الاستقلال الاقتصادي والاستفادة من الخدمات الصحية والتعليمية، ما يجعلها واعية مستقلة فاعلة تتمتع بالقوة الكافية للسيطرة ليس فقط على مجريات حياتها، بل التأثير أيضاً في المجتمع المحيط بها من من أجل إزالة كافة أشكال التمييز ضد النساء وتمكينهن.

والتمكين هنا لايعني (كما تصوره بعض المرجعيات النسوية الليبرالية) سعياً فردياً من قبل المرأة للتعلم والخروج إلى سوق العمل فحسب، بل هو عمل مجتمعي متكامل، يسبقه وعي المجتمع، خاصة في دول العالم الثالث، بأن لانهوض له دون النهوض بالنساء، (نصفه المعطل)، وأن ذلك لايمكن أن يحدث دون تمتع النساء بحقوق المواطنة الكاملة ونيل حقوقهن، فالمواطن الحر المتمتع بحقوقه هو وحده من يمكنه المشاركة في مسيرة التنمية والتقدم.

تطور دور المرأة في القرن العشرين (ج٢/٢): في سوق العمل

• ترجمة:د. إنعام شرف
فريق ترجمة سيدة سوريا

اتخذت مساهمة المرأة وجهودها في الحرب العالمية الأولى أشكالاً عدّة:

– شجاعة زوجات المزارعين بتأمين العمل في الحقول بدلاً من أزواجهن، وذلك بدأً من صيف عام ١٩١٤، إذ غلب على فرنسا في حينها الطابع الريفي والزراعي.

– تفاني الممرضات واهتمامهن بالجرحى والمصابين في المستشفيات ومنازل النقاهة.

– حنان «عرّابات الحرب» اللاتي كنّ يكتبن باستمرار، ويرسلن طروداً للجنود، ويقمن بالزيارات الدورية لجرحى الحرب.

– شجاعة نساء المدن اللاتي غطيّن نقص الأيدي العاملة في قطاعات مختلفة، كتسليم البريد، وقيادة الترام، والعمل لأكثر من عشر ساعات في اليوم في مصانع الذخيرة.

أولاً: عمل المرأة في الزراعة

الدعوة التي وجهها فيفياني للفرنسيات:

في ٧ آب عام ١٩١٤، وجّه رينيه فيفياني رئيس المجلس دعوة للفرنسيات لاستكمال الحصاد والبدء بأعمال الخريف. المزارعات كنّ المعنيات بشكل أساسي بهذه الدعوة، وكان الاعتقاد السائد حينها أن الحرب ستكون قصيرة، وأن الرجال لن يتأخروا في العودة من الجبهة.

تم الاعتماد في الزراعة على ٣,٢ مليون امرأة من المزارعات والعاملات في الزراعة، وقد أنجزن الجزء الأكبر من العمل بكل حماسة وشعور عالٍ بالوطنية وحس التضامن. فقد أصبحت المرأة تعمل في البيطرة والشرطة والخبز، جميع الريفيات عملن من أجل خلاص فرنسا. ونتيجة الحرب، (٨٥٠,٠٠٠) امرأة تحولن إلى نساء عاملات، ثلثهن فقط تم ذكرهن في إحصائيات العام ١٩١١ (٣٠٠,٠٠٠) امرأة مزارعة لديها عائلة مسؤولة عنها، وتتحمل أعباءً كثيرة ومسؤوليات لم تكن يوماً مهيأة لتحملها، كاتخاذ قرارات خاصة بعملية الإنتاج، وإدارة الأيدي العاملة وعمليات البيع والشراء وإلى ما هنالك من مسؤوليات وأعباء اضطرتها الظروف إلى تحملها لوحدها.

ثانياً: عمل المرأة في الصناعة

لكي تتمكن المرأة من العمل في مجال الصناعة الحربية، كان لابد من إقناع الصناعيين الحذرين الذين لا يثقون بقدراتها، وكذلك مضاعفة عدد مكاتب التشغيل. في أوائل عام ١٩١٨، أصبحت النساء تشكل ربع القوة العاملة في الصناعة الحربية، أي ما يعادل (٤٣٠,٠٠٠) عاملة من جميع الخلفيات الاجتماعية والثقافية: الخياطات، ربات البيوت، الفنانات العاطلات عن العمل، وشابات عاطلات عن العمل جذبتهن الأجور العالية وإن كنّ لا يملكن أي خبرة مهنية. وشعرت النساء بسرعة كبيرة بالرضى، وبحسب المارشال جوفري: «لو أن النساء توقفن عن العمل لمدة عشرين دقيقة، لتسبب ذلك بخسارة الحلفاء».

إذن اضطلاع المرأة بهذه المسؤوليات كان يتطلب تحديث الأدوات وإعادة تنظيم العمل بما يتناسب مع طبيعة هذه الأيدي العاملة الجديدة. وعليه فقد ظهرت رافعات المعدات الثقيلة، والآلات الأتوماتيكية في جميع القطاعات. يكتشف الصناعيون الطابع الأنثوي في العمل (الصبر والمهارة والترتيب)، وتزداد ثقتهم بقدرة المرأة، ويبدؤون بإعطائها مهاماً بلا حدود.

عام ١٩١٤، تم حشد معظم الرجال القادرين على العمل في المصانع للذهاب إلى الحرب. ومع مرور الوقت بدأت الآمال تتبدد حول الحرب قصيرة الأمد، ودخلت فرنسا في حرب طويلة تطلبت التعبئة العامة وعدد غير محدود من الأيدي العاملة، خاصةً في مصانع الذخيرة. والنساء اللاتي

كنّ يضطلعنّ بمهام ثانوية قبل الحرب أصبحن في مواقع رئيسية، لتغطية النقص الحاصل نتيجة التحاق الرجال بجبهات الحرب. وقد شكل توظيف النساء في مجال الصناعة الحربية ظاهرةً غير مسبوقة، مما أثار العديد من ردات الفعل والمخاوف من الهيمنة النسائية على قطاعات العمل.

ثالثاً: عمل المرأة في قطاع المواصلات والنقل

في بداية الحرب كانت نقابة المواصلات والنقل الباريسية تعارض موضوع التعاقد مع النساء، لكن سرعان مع سئم الباريسيون الانتظار بالساعات وصول إحدى وسائل النقل العامة. وعلى الرغم من معارضة النقابة، إلاّ أن النساء استطعن الحصول على إذنٍ من محافظ السين في آب ١٩١٤ للعمل كجابيات في وسائل النقل العامة. في عام ١٩١٥، (٢٦٧٠) امرأة كنّ تعملن إلى جانب (٨٠٠٠) رجل في الترام في باريس، وفي العام ١٩١٧ أصبح عددهنّ (٥٨٠٠)، يرتدين زياً داكناً وقبعة، ويحملن حقيبة الكتف وقفازات من المطاط لتسهيل فصل التذاكر عن بعضها، ويتنقلنّ بين الركاب لجباية أسعار التذاكر. أما النساء اللاتي تعملن في مجال القيادة، فعملهن كان أقلّ تعباً وإثارة، ولكنه كان أكثر عرضةً للانتقادات القاسية وخاصةً في حالات الحوادث، وإن كانت حوادث صغيرة جداً، وعلى الرغم من أن هؤلاء النسوة كنّ يتلقين ثمانية أيام فقط كتدريب على القيادة، إلاّ أنهن أثبتن مهارةً وقدرة عالية ورباطة جأش غير متوقعة في إنجاز هذا النوع من الأعمال.

لم يتسنَّ للمرأة العمل كسائقة مترو الأنفاق، وذلك بسبب مضاعفة نظام الإشارات وأعمال الترميم الصغيرة. لكن حوالي (٢٠٠٠) امرأة كانت تعمل في بيع التذاكر وتنظيف وحراسة السيارات. وكانت المرأة تحصل في حينها مقابل هذا العمل على فرنك فرنسي واحد في اليوم، وهو طبعاً أقل بكثير من الأجر الذي كان الرجل يحصل عليه مقابل نفس العمل. وخلال أربع سنوات من الحرب، استطاعت المرأة أن تثبت فعاليتها في الحلول مكان الرجل، والقيام بالمهام التي كان يقوم بها وبنفس المهارة تقريباً. وهكذا أصبحنا نجد النساء العاملات في مجال القيادة والميكانيك، بالإضافة إلى عملهن في الجباية وبيع التذاكر. وقد شهد قطاع النقل نمواً غير مسبوق في الأيدي العاملة النسائية، وذلك بالعبور من (١٨٠٠٠) امرأة في العام ١٩١٤ إلى (١١٧٠٠٠) في العام ١٩١٨.

رابعاً: العمل في مجال التمريض «الملائكة البيضاء»

كانت المرأة أثناء الحرب تلازم الأطباء الذين يعملون في ساحة المعركة لطمأنة الجرحى ورعايتهم، وكانت إما عضواً في إحدى المجموعات الدينية أو ممرضة مساعدة. كما إن غالبية النساء كنّ يعملن في المستشفيات، ووسائل النقل في معظم الأحيان كانت خطيرة وغالباً ما كانت المسافات طويلة جداً لنقلهن من مكان إلى آخر في الجبهة. وفي كثير من الأحيان كنّ يجدن أنفسهن في خيام لا تبعد إلاّ مسافةً قصيرة عن جبهة الحرب، وعلى الرغم من شجاعتها وتفانيها في هذا العمل، إلاّ أن الممرضة لم تكن تتلقَّ أي أجر مقابل عملها. أضف إلى ذلك الظروف الصحية التي لم تكن تساعد كثيراً في شفاء الجرحى، ونقص الأدوية والمعدّات، واللجوء إلى معدّات وأدوية بديلة في متناول اليد لكنها أقل فعالية من الدواء المطلوب.

عام ١٩١٦، جميع سيارات الإسعاف كانت تقودها نساء، بالإضافة إلى قدرتهن على التدخل في جميع الحالات، سواء كانت حالات الجرحى أو حالات أولئك المصابين بالغاز، وكنّ قد تدربن جيداً على معالجة مصابي الغاز من خلال التنفس الاصطناعي. ولم تتردد المرأة يوماً في التدخل لإنقاذ مصابي الحرب أو في تقديم الدعم للأمة بأكملها، وقد أظهرت شجاعة كبيرة وبرهنت على قدرتها في الوقوف جنباً إلى جنب مع الرجل في الجبهة ومواجهة الخوف. وقد وصل عدد النساء العاملات كممرضات في جبهات الحرب إلى حوالي(١٠٠٠٠٠) امرأة، كل واحدة منهن كانت مستعدة لمنح حياتها في مقابل إنقاذ حياة المقاتلين. بالإضافة إلى ذلك، كانت عشرات الآلاف من النسوة يتطوعن في الصليب الأحمر ومنظمات أخرى لتقديم الرعاية الطبية وأكثر من (١٠٠٠٠) راهبة تتواجدن في الجبهات للصلاة وطمئنة جرحى الحرب.

وهكذا أدت الحرب العظمى إلى اضطراب كبير في الحياة الأسرية والاجتماعية للمرأة، حيث أخذت دور رب الأسرة، وأثبتت قدرتها على أن تحل محل الرجل في جميع نواحي الحياة. كما أنها لم تعد تقبل الخضوع لإرادة الرجل، بالإضافة إلى إدماجها في المهن والوظائف العليا، كذلك جديتها وكفاحها المتواصل من أجل التوقف عن استغلالها في أي ناحية من نواحي الحياة، سواء الاجتماعية أو المهنية. واعتبر بعض المؤرخين أن هذه الفترة كانت من أفضل المراحل المناسبة لتحرير المرأة والمناداة بالمساواة بين الجنسين، وإحداث تغيير حقيقي وعميق في موضوع المرأة ومشاركتها في الحياة العامة والسياسية ومواقع اتخاذ القرار.

سعاد نوفل امرأة في محاربة الظلم والتطرف

• حاورتها سيدة سوريا

لم يغب النظام عن المدينة حتى تصدر تنظيم دولة الإسلام في العراق والشام المشهد.. كانت أمامها مساحة بيضاء محدودة بإطار قطعة الورق المقوى، خطت عليها كل ليلة عبارات هزتهم، إلى درجة تهديدها بالموت..
سعاد نوفل ابنة الرقة وقفت مراراً أمام مقر داعش في المدينة حاملة لافتات تندد بهم، سعاد تروي اليوم من المنفى حكاية حلمها.

حدثينا عن سعاد نوفل قبل الثورة؟

كنت إنسانة تقليدية جداً، كغالبية السوريين، قبل بداية الثورة لم يكن في حياتي شيء مميز، إلا أن ثورتي أنا «سعاد» بدأت منذ وقت، منذ سبع سنوات حاولت كسر قيد البيئة المحافظة، أنا متعلمة، لكني لم أعرف شيئاً عن الوضع في سوريا، وكيف حكمنا ٤٠ سنة بالظلم والاستبداد، فأنا ابنة بيئة متوسطة الثقافة، أبي تعلم في الكتاب، ووالدتي أمية، بالتالي نشأت ببساطة دون احتكاك بأي أحد خارج نطاق الأسرة والعمل، قضية المحافظة والعيب سكنتنا وكانت سبباً في عزلتنا.

قبل سبع سنوات دخل «الساتلايت» إلى بيتنا وبدأت أتابع الأخبار من مصادر غير التلفزيون السوري، وأشاهد الأفلام الوثائقية عن أشياء كثيرة، منها مجازر الثمانينات التي لم أكن قد سمعت بها.

قضينا سنوات الدراسة نردد عبارات «ونسحق أداتهم المجرمة، عصابة الإخوان المسلمين العميلة»، «أمة عربية واحدة» و«القائد الرمز» والكثير غيرها.

متابعتي للبرامج، واحتكاكي لاحقاً بأشخاص من خارج الرقة، بصديقات من حماه، حدثتني كيف ذبح النظام الأبناء أمام أمهاتهم، كيف فقدت صديقتي خالها وعمها وإخوتها، بدأت أعي الأمور وأبحث عما أقرؤه بغية المعرفة أكثر، تحول مساري منذ ذلك الوقت، لكنني ما زلت أحب الوطن.

قلت: «ما زلت أحب الوطن»، هل كنت تربطين بين آل الأسد والوطن؟

لقد دجنونا على ذلك، ما بين العمل والمنزل تعلمنا أن الوطن هو الأسد، وهذا ليس ذنبنا بل ذنب المدارس وواضعي المناهج، وأهالينا الذين لم يقوموا بتوعيتنا، وقد لا تشفع لهم بساطتهم وخوفهم.

بالحديث عن الرقة، معلوم أنها لم تشهد مع بداية الثورة، ما شهدته مناطق أخرى في سوريا، وإن كان فيها أشخاص ناصروا الثورة، وربما انتظروها طويلاً، تفاجأنا لاحقاً بأن الرقة أصبحت في عمق الحدث، ما الذي كان يجري؟

في البداية غبنت الرقة حقها إعلامياً، كان حراكها على مستوى ضيق فلم يجذب الإعلاميين، وبقيت قرابة عام مهمشة، خرجنا بمظاهرات طيارة منذ بداية الثورة، إلاّ أنّ قبضة النظام كانت محكمة في الرقة، كما أن شيوخ العشائر يكنون ولاء مطلقاً للنظام، ما جعلهم أحد أكبر المعوقات أمام تفعيل الحراك.

ماذا عن حملة «الرقة تذبح بصمت»؟

لطالما همش النظام الرقة، وبعد التحرير الكاذب، الذي لم نفرح به كما ينبغي حين عرفنا أنه مجرد صفقة تسليم، همشتها المعارضة أيضاً، وبقيت الرقة مدة شهرين محررة بالكامل قبل دخول داعش، ولم تفكر شخصية واحدة من هيئاتها، ائتلاف أوحكومة، بزيارتها، وملء الفراغ فيها بفتح مكاتبها في الداخل.

في بداية التحرير فرحنا كثيراً، أسسنا تجمعات مدنية، مع أن طيران النظام

كان يشن غارات بشكل مستمر، مع ذلك كنا نخرج لإزالة الأنقاض وإنقاذ الجرحى، ونحاول أن نقوم بشيء، أي شيء نافع، ولو دخلت هيئات المعارضة ووقفت معنا وقدمت لنا خبرة كوادرها، لكان الوضع مختلفاً.

يجدر بنا أن نذكر أنه في تلك المرحلة لم تتعرض المؤسسات للسرقة والنهب، تلا ذلك انكشاف الأمور في الرقة عن تسليم، وتفريغ للمؤسسات والمرافق الخدمية والبيوت، التي كانوا يكبرون عليها، للاستيلاء عليها لكن تحت غطاء الشرع، بسبب وبلا سبب، ومع ظهور داعش بدأت ملاحقة الناشطين والناشطين حصراً، كل ذلك دفع الناشطين لإطلاق حملة «الرقة تذبح بصمت».

ماذا عن الوضع الاجتماعي لنساء الرقة قبل الثورة، وماذا عن دورهن خلالها؟

الرقة من المدن التي تتميز بالمرونة في التعامل، شعب طيب ومحب، لم يكن ظرف النساء كما هو اليوم، المرأة اليوم ترتدي النقاب خوفاً على ولي أمرها من طغيان داعش، كنت مثلهن تماماً حين قررت الخروج خوفاً على أهلي، فلو كنت خائفة على نفسي لما استمريت شهرين في الوقوف أمام مقرهم.

كانت مشاركتنا ضئيلة جداً، فللنساء ظرفهن الخاص في الرقة، لسن مهمشات، لكن المرأة الرقاوية لا تساعد نفسها، فمن يريد كسر القيد لا بد له من امتلاك الرغبة والطاقة. هناك نسبة متعلمات، لكن ليس هناك وعي نسائي كاف للانخراط في الثورة بشكل علني وواسع كما في المناطق الأخرى.

كنت أحاول إقناع زميلاتي في المدرسة بصدق ما يحدث في حمص ودرعا وحماه، كمحاولة لدفعهن باتجاه الثورة، كنت أطلب منهن متابعة الإعلام كله، للأسف لم يملكن الجرأة على مبادلتي الكلام، القليلات منهن كن على قناعة تامة بأن

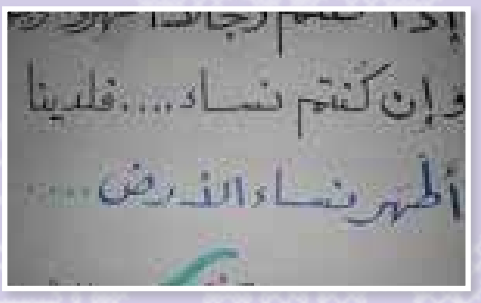

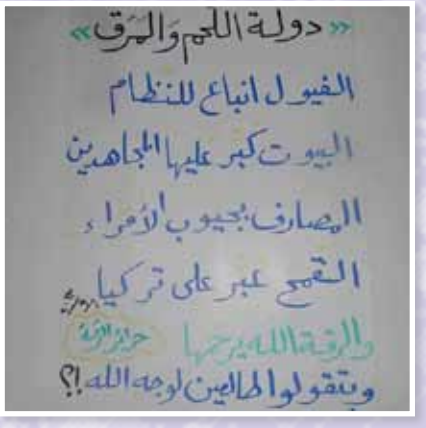

النظام قاتل، لكن الغالبية ساندته، على مبدأ الحفاظ على الأمن والأمان.

ما الذي دفع سعاد لحمل كرتونتها؟

عندما ترين طائرات النظام تقصف محيط مقرات داعش، وتستهدف نقاطاً ليسقط أبناء الرقة، لا بد أن تسألي نفسك: لماذا؟ داعش خطفت واعتقلت أبرز الناشطين الذين اعتقلوا ونالوا من الذل ما نالوا على يد النظام، ورغم ذلك اعتقلتهم وخطفت جزءاً كبيراً منهم، لا داعي إذاً للبحث عن برهان حول كون داعش ذراعاً للنظام.

شدة الظلم والقهر تستطيع أن تفجر بداخلنا براكيناً، مرور ٤٠ عاماً دون وعي بظلم النظام، دفعني لتجنب الانتظار تحت ظلم داعش، صبر السوريون على النظام فحكمهم ٤٠ عاماً، صبر يوم على داعش يعني أنها قد تحكمنا ٤٠٠ سنة.

كثيراً ما سمعت عبارات مثل: «أنت امراة فكيف تجرئين على ما لم يتجرأ عليه الرجال؟»، لكن لم يكن من الصعب الوقوف أمام داعش في بداية ظهورها يوم لم تكن لديهم الجرأة على التصفية والقتل كما يفعلون اليوم، ٢٠ / ٠٧ / ٢٠١٣ وقفت أمام مقرهم لأول مرة، قبل يوم خرجنا ضدهم في مظاهرة كبيرة وفرقونا بالرصاص، فأصدر الشباب بيان الفتنة الذي نص على وقف التظاهرات والاعتصامات، ولم أوقع، يوم ٢٠ / ٠٧ خرجت وكنت صائمة، شيء ما تحرك في داخلي، أظن أنه الظلم الذي شهدته ليلتها، فرقونا بالرصاص الحي فكانوا صورة عن النظام، عدم اكتراثهم بشبابنا وأرواحنا كان قاسياً علينا، كان النظام يتجسد أمامنا من جديد.

ذهبت واشتريت «كرتونة صغيرة»، كتبت عليها: «بدنا كل المعتقلين.. حرائر الرقة» كتبت عليها تاريخ ذلك اليوم، وبعد الإفطار انطلقت إلى مقرهم، وقفت وبيني وبين الباب الرئيسي مسافة لا تتجاوز متراً ونصف المتر، في الطريق رآني عدد من الشباب، سألوني أن أعود ورفضت، قلت لهم ذاهبة لأكمل ما بدأناه، حذروني من الموت، وقلت لهم إننا كنا معرضين للموت في الليلة الفائتة، فإن كان لا بد من الموت، فأنا أفضل الموت اليوم على الموت قهراً وظلماً غداً، ومضيت.

هل كان اختطاف «فراس الحاج صالح/ زوج أختك» دافعاً مباشراً لاعتصامك المتكرر أمام مقر داعش؟

أبداً، وللعلم كنا نخرج في المظاهرات ليس فقط ضد داعش، بل كذلك ضد الهيئة الشرعية وأحرار الشام، ضد كل ما بدر منهم ورأينا فيه حكماً جائراً في الرقة، لكن داعش كانت الأكثر تجاوزاً وظلماً.

النبي بقي ١٠ سنوات لم يرفع سيفاً، هم جاؤوا بالقتل والذبح منذ اليوم الأول، اعتقلوا الناشطين وقاموا بتصفية كتائب الجيش الحر، ففرغوا المحافظة عسكرياً ومدنياً، وينفذون الإعدامات لإسكات الناس.

بعد القتل والترهيب فرضوا تفاصيل على مجريات الحياة اليومية، أجبروا النساء على ارتداء النقاب، ومنعوا التجول وفتح المحال التجارية خلال أوقات الصلاة، وهذا يتطلب إغلاق المحلات نصف ساعة في كل موعد أي ساعتين بين صلاة الظهر والعشاء، علماً أن الظروف الاقتصادية صعبة للغاية، داعش تفعل ما تفعله ولا تعوض الناس، لا بتأمين فرص عمل ولا رواتب، تنشغل بالنساء وخروجهن بلا نقاب أو محرم، ومراقبة الناس من صلى ومن لم يصلّ، هذا والنظام لم يسقط بعد، ساهموا في إسقاطه ورفع ظلمه عن السوريين ثم

افرضوا عليهم ما شئتم.
في الرقة توجد الفرقة ١٧ التي تقصف المدينة يومياً وتسبب بالأضرار وسقوط الشهداء، كذلك اللواء ٩٣ الذي يتمركز في منطقة عين عيسى، ومطار الطبقة العسكري، مواقع مهمة للنظام يتركونها ويقومون بتصفية الجيش الحر، لا فرق إذاً بين داعش والنظام في وأد الثورة، داعش هي الخنجر المسموم الذي غرس في خاصرة الثورة والكل يعلم ذلك، لكن الخوف يدفعهم للصمت.

كيف تعامل أهلك مع خروجك في التظاهرات؟

كنت أخرج إلى المظاهرات سراً ، لكون الخروج عيباً بالدرجة الأولى وفق المفاهيم الاجتماعية السائدة، ولعلمي بخوفهم علي مما شهدته النساء في المحافظات الأخرى بالدرجة الثانية، كانوا يعلمون أني أعمل بالإغاثة فقط، لكن بعد استشهاد علي البابنسي صرت أخرج بعلمهم.
والدي توفي بعد تحرير الرقة بحوالي ١٣ يوماً، لو كان حياً لجرب منعي خوفاً علي، لكنني واثقة أنه كان من الجهة الأخرى سيشجعني بسبب كرهه للنظام، إخوتي خافوا علي كثيراً، هم يعلمون أني قوية وأن حقي وحق شعبي خط أحمر، ليس كخطوط النظام ولا الدول التي ساهمت بذبح الشعب السوري، السوري في الداخل يعيش فعلاً ضمن خطوط حمراء لأنها من دمه ودم أطفاله، ورغم ذلك تخطوا هذه الخطوط لكن العالم كله وقف في وجههم.

ما حجم الأفق الذي فتحه لك الخروج في المظاهرات؟

الحالة تشبه الكفيف الذي أبصر، انخراطي في الثورة غير حياتي، بت أعلم أننا لا نحيا لنأكل ونشرب فقط، هناك الكثير من الأشياء التي بقيت كامنة في دواخلنا إلى أن فجرتها الثورة وأوجدت مساحات لها، حين كنت أسير في الشارع وأرى أحد زملائي في العمل، لم يكن تبادل السلام وارداً، بعد الثورة صرت أبادره بالتحية إن لم يفعل، حتى وإن كنت برفقة والدي أو أحد إخوتي، حاجز «العيب» الذي أحاط بنا عقوداً كسرناه في هذه الثورة. قد نكون تأخرنا، لكن المهم أننا وصلنا.

ما هي أكثر «كرتونة» هزتهم وأثرت فيهم؟

كانت تلك التي كتبت عليها: «إذا كنتم رجالاً فاكشفوا عن وجوهكم، وإذا كنتم نساءً فلدينا أطهر نساء الأرض».

ماذا تفعل سعاد نوفل اليوم؟

غادرت الرقة إلى تركيا منتصف الشهر العاشر ٢٠١٣، ومنذ خرجت أشعر بغياب الثورة، وأحس أنني كالطير المكسور الجناح، ثورتي في الداخل أعيشها مع السوريين يوماً بيوم، منذ غادرت الرقة شيء ما مات بداخلي، أعلم لو أني بقيت لكان بإمكاني تقديم الكثير، هنا لا أستطيع فعل شيء، أسمع وأقرأ عن مشاريع تنفذ، لكني لا أعرف مدى جديتها وحقيقتها.

ما الذي تحتاجه النساء في الداخل اليوم برأيك؟

الموضوع يختلف بين المناطق المحررة وغير المحررة، لو تكلمنا فقط على المحرر أظن أنّ المرأة هي التي يجب أن تعرف ماذا تريد، حتى تعرف النساء في الخارج ماذا يفعلن لأجلهن، هناك أزمة تواصل بين نساء الداخل والخارج، ولا أنكر أننا لم نكن نريد التواصل معهن.
لو كنت في الداخل وأردت أن أطلب من أي ناشطة أو سياسية في الخارج شيئاً، لطلبت منها الدخول، أتساءل عن النساء البارزات: هل عشن الثورة في الداخل؟ هل جعن؟ هل فقدن أبناءهن؟ هل تناولن ورق الأشجار كأهل حمص؟ هل هُجّرن من منازلهن؟ أنا لا أتكلم عن الجميع، أعلم أن هناك نساء فعلن الكثير، أنا مثلاً لا أعرف لبنى زاعور، لكنني أعلم أنها خرجت في دمشق وكانت إحدى عرائس الحرية، هذه الفتاة تستحق تاجاً على رأسها.
أريد من الجميع الدخول إلى سوريا وسيعرفون وحدهم حاجة السوريات.

ماذا تريد سعاد اليوم؟

أريد أن يسقط النظام، أن تبرد جراحات أمهات حمص وأمهات درعا، جراحات أم حمزة الخطيب، وخنساء دير الزور، جراحات أمهات المعتقلين عند النظام وداعش، جراحات النساء السوريات اللواتي يعانين في أقبية النظام، أريد أن أعود إلى سوريا بأقرب وقت.

إلى أين أوصلونا؟؟

• صبا مدور

سؤال ملح فوق شفاه السوريين، تراه في عيون أطفالهم الحائرة، يسيل مع عبرات أمهاتهم وتقرؤه في وجوم كل الرجال.

هل ستعود سوريا كما كانت؟

كما كانت!!؟؟ وتتشابك الأسئلة برأسك مرتطمة بخيالات كانت إلى عهد قريب أملاً.

كما كانت؟؟ أو بعد كل ما حل ويحل وسيحل، كما كانت؟

حين يتحول الحلم كابوساً، نتمنى الاستيقاظ على الحقائق حتى ولو كانت مرة، وحين تكون المفاضلة بين الخذلان والندم، يصبح الخذلان هو البضاعة الأكثر رواجاً.

إلى أين أوصلونا؟

يبدو الجواب المستحيل هنا لسؤال (من هم؟؟)، وربما استحالته ببساطته: كلهم.

تمر نسمة طيف حالمة، تعيد إلى الذاكرة أول نداء للثورة: «الشعب السوري ما بينذل»، فتجللني سكينة القهر على مشاهد الذل التي ما مرت قبلاً على سوري، في خيام اللجوء والجوع، وفي صالات الترانزيت والقهر.. ذل الجار والأخ القريب قبل الغريب والبعيد، وسوريا لم تنصب يوماً خيمة للاجئ قدم إليها، بل أسكنته في العيون والقلوب قبل البيوت، فبقي ساكناً فيها، وجعلها وطناً له، وغادرها من غادرها ولكنها بقيت ساكنة فيه.

سوريا التي لم تغلق باباً بوجه عربي، ولم تشغلها أختام التصاريح على جوازات السفر، وطالما كتبت الأسماء بلغة عربية، يصارع أبناؤها الغرق فوق أمواج شواطئ أوربا.

ما كان الذين ركبوا الثورة سلماً ليصلوا إلى أهدافهم الشخصية يوماً غاية من خرجوا يعلون الصوت المخنوق منذ سنين، ولا الذين أرعبهم علو ذاك الصوت المخنوق فتصارعوا لغاياتهم وولدت صراعاتهم غايات أخرى .

حلم الفقير برغيف خبز نظيف أصبح مزاداً في مؤتمرات التسول على موائد الدول، يباع ويشترى فينا لأجله، ثم يسرق من قبل من تسوله باسمنا.

حلم البسيط بغالون مازوت يدفئ به أبناءه تحول إلى صراع على آبار النفط ومصافيه، وحلم المقموع عمراً بقول ما يريد، أصبح محكوماً باللحظة والموقف وحسابات الدول،

لا بل بإيديولوجية البندقية التي تسيطر اليوم أو الساعة على بيت، وكله باسم الثورة.

لا للقتال ولا للطائفية ولا للتقسيم ولا للتدخل الخارجي... ولا ولا ولا..

أو لسنا نحن من سميناها جمعة حماة الديار... آزادي.. صالح العلي... الجمعة العظيمة؟؟

عشرات الخطوط الحمراء وضعت وتم تجاوزها، ولكل تجاوز مبرر، والنظام جرّنا، فانجررنا، دفعنا، فاندفعنا. توازنات الإقليم والعالم اضطرتنا، فاضطررنا، وكأننا نسير بثورة لا هدي لها ولا مسار، ثورة مفعول بها لا فاعلة، تسير تبعاً لجر النظام ودفعه وإرادته، أو تبعاً لمصالح المنطقة وتوازنات الدول الكبرى.

سرقوا أحلامنا وأعادوا صياغتها على مقاساتهم ومقاسات مصالحهم الضيقة، لا، بل وعلى مقاسات من يحركهم، وردوها إلينا مسوخ أحلام لنقبلها. عشرات المؤتمرات والبيانات، ومئات الأسماء والقيادات، آلاف الأجنحة والألوية والفصائل... وكل ما يمكن أن يذكر منها هو الخواء، فالمواطن البسيط تحت قصف السكود والهاون وانفجار البراميل حيناً، والمفخخات حيناً آخر، والمواطن المشرد في بلاد الله... وبلده يرزح تحت آلام الجوع والمرض، ضاع في زحمة الأسماء ولم تعد تهمه، فما الفرق بين المؤتمر السابق والمؤتمر القادم؟ بل ما الفرق بين رئاسة هذا واستقالة ذاك، ما دام عداد الموت مستمرّ، وسيمفونية الدم مستمرة، وسطوة الجوع كافرة؟!

مؤيد أو معارض؟؟؟ لا لا، إنه شبيح. أنت سني أم علوي أم مسيحي؟ هل هؤلاء من النصرة أم داعش أم الحر؟ ائتلافي أم تنسيقي؟ إنه كردي!

وتكثر التصنيفات، وتتبعها التصنيفات، ولكل تصنيف تصنيفات فرعية، وينسى الجميع في فوضى التصنيف أن يتساءلوا سؤالاً واحداً، خرج كل من خرج يوم نودي للثورة ليجيب عليه بفخر، ذاك السؤال هو: «هل أنت سوري؟؟؟».

إعلام المعارضة وصورة الثورة

• لبنى زاعور

في حين حمي الوطيس على الفضائيات التابعة للنظام السوري، وأقبلت الكثير من القنوات الإعلامية والصحف على السخرية من إعلام النظام وكشف فبركات تلك القنوات، استطاع النظام بعد مرور عامين على الثورة أن يوجه إعلامه للغرب واضعاً نفسه في موقع الضحية، مصوراً ما يقوم به من عنف على أنه مواجهة للإرهابيين، غير آبه بما يراه السوريون في الداخل، يتجاهل وعيهم وإرادتهم بأفعاله وبث أكاذيبه، مقابل كسب الرأي العام الخارجي.

فمنذ اللحظة الأولى للثورة أطلق على المتظاهرين مسميات عديدة منها (تكفيري، مندس، سلفي)، حتى رسا على تسمية «إرهابيين» ونال من خلالها بعض تأييد الغرب واستعاد تأييد البعض لأنه لم يقل يوماً عبر قنواته (نحن نحارب طائفة معينة)، علماً أنه أظهر خلال السنوات الثلاث الأخيرة أنه يتعامل بحقد طائفي لاذع من خلال همجية ما يمارسه على السوريين، وقد وصلت به الوقاحة إلى تصوير المدن السورية أثناء قصفها، وهو ما شهدناه مؤخراً عندما قام الصحفي أوس حسن العامل في التلفزيون السوري بالتصوير من على متن الطائرة أثناء رميها للبراميل على حلب. أيضاً وصل النظام إلى الاعتراف بوجود قوات خارجية من حزب الله وإيران دون استحياء، واستطاع إعلامه أن يروج لمجازر كثيرة لم تحدث، مثال على ذلك ما شاع عند دخول كتائب المعارضة إلى كسب، وما تم اختلاقه حول حدوث مجازر بحق الأرمن، علماً أنه لم تبق عائلة أرمنية واحدة في كسب، والنظام باختلاقه لتلك المجازر استطاع أن يكسب تصديق البعض، في حين لم تحظ المجازر الحقيقية التي ترتكب بحق المدنيين السوريين على يد قوات نظام الأسد بهذا الصدى العالمي ولم تحرك الرأي العام العالمي، كيف تثير الاهتمام وهاش تاغ «حلب» على الفيسبوك أثار الخلاف بين الكثير من الناشطين، ولم يتفقوا على هاش تاغ واحد، وهنا سنطرح سؤالاً مهماً: لماذا لم تندد شعوب الدول الغربية والعربية بالانتهاكات والمجازر التي قام بها النظام، (مجزرة الغوطة التي حصدت أرواح مئات المدنيين جراء

القصف بالسلاح الكيماوي، وما يحصل الآن في حلب من قصف بأكثر الأسلحة همجية وفتكاً وهي البراميل).

علينا هنا أن ندير العدسة باتجاه إعلام الثورة الذي اعتمد على بث ردود أفعال «غاضبة غير موجهة ولا محسوبة»، حسب قول ناشطين سوريين.

الناشطة(لمى، ن) المقيمة في الغوطة منذ سنة ونصف تقول:

«كيف لإنسان تربى على نبذ الطائفية والإرهاب أن يقتنع بفيديو تبثه جهات معارضة، تتخلله بعض الكلمات منها (الغرب الكافر، بن لادن، بالذبح جيناكم، نصيري ...إلخ)؟ الشعوب الغربية ليست في سوريا ولا ترى ما يحصل إلا من خلال شاشة التلفاز، إعلامنا لم يستغل تلك النقطة، ولم يتوجه إلى الخارج، بل كان مجرد (فشة خلق) للسباب والشتائم، أو الاستجداء، ما يعبر عن ضعف في الموقف، ويصور الثورة على أنها حرب أهلية».

وتتحدث عن الإعلام في كفرنبل قائلة: «من الناحية الإعلامية أصبحت كفرنبل عالمية، استطاع ناشطوها أن يكسبوا تأييداً كبيراً من خلال تصويرهم للمجال المدني والإنساني، عن طريق رسومات ولافتات، فقطعة من الكرتون تتخللها جملة واحدة، تصل إلى قلوب الكثيرين دون عناء أو استجداء».

وتثني في كلامها أيضاً على مدينة سراقب في إدلب، واصفة جدرانها التي امتلأت بالرسومات ووصلت صورها إلى معارض عالمية ولامست مشاعر الكثيرين، ما لم يحققه إعلام الثورة، قائلة: «إعلام لثورة لم يستقطب مشاعر الناس بطريقة صحيحة!!».

في هذا المقال لم نتطرق إلى المناطق المشتعلة، والتي يحصل فيها قصف واشتباكات، حيث يكون المقاتل صحفياً ومحرراً ومدافعاً وإعلامياً، لكن علينا التوجه إلى المناطق التي تسيطر عليها الكتائب المعارضة والتي من المفترض أن يسمح فيها نقل ما يحصل عن طريق عدسات صحفيين وإعلاميين مهنيين.

يتحدث إلينا الناشط (م، ش) عن عمله، وعن حادثة حصلت معه أثنته عن متابعة عمله في الإعلام قائلاً: «بعد طول انتظار حصلت على كاميرا وصلت إلي عن طريق نشطاء في تركيا، وبينما كنت أقوم بتصوير مقطع لإحدى الكتائب المسلحة، أدرت الكاميرا إلى زاوية لم يظهر منها سوى مترين من طريق إسمنتي، دون أي ملامح أو إشارات تدل على عنوان الشارع، فقط زاوية التقطت مترين من الإسمنت الأرضي، وحين رأى قائد الكتيبة الفيديو رماني أرضاً وبدأ بضربي بقدميه وبندقيته، حتى لم أعد أقوى على الحراك من كثرة الكدمات والآلام التي حلت بي، وبعدها قام بتهشيم الكاميرا التي صبرت طويلاً حتى حصلت عليها». وأضاف: «الجميع يوجه اللوم إلينا لضعف إعلام الثورة، لكننا ما زلنا تحت سلطة البنادق والخطر، ولا نستطيع نقل كل ما يحصل خوفاً من الاعتقال».

الجدير بالذكر أن حوادث الاعتقالات التي حصلت في المناطق المعارضة للإعلاميين والصحفين أحدثت فجوة بين العدسة والمصور، وطالت كوادر إعلامية كاملة، ففريق أورينت الإعلامي وفريق وكالة الأناضول والكثير من الصحفيين المستقلين ما زالوا قيد الاعتقال. أصبح من الخطورة حمل الكاميرا وتصوير الحقيقة ونقلها، خوفاً من الخطف والاختفاء.

يضيف أحد الناشطين الإعلاميين في محافظة الرقة قائلاً: «داعش تعتقل كل من يعمل في مجال الإعلام أو يقوم بالتصوير، عدا القنوات الإعلامية التي تسمح لهم بالتصوير تحت سلطتها، ممن تشترط عليهم عدم التطرق إلى ممارساتها الهمجية، ونحن من خلال عملنا الإعلامي نعرض أنفسنا للخطر والخطف، مختبئين وراء اللباس الأفغاني، كي لا نثير الأسئلة والنظرات حولنا، وكي لا يقوموا بتفتيشنا، (يعني راسمالها لبس أفغاني، وفوقها برحبوا فيك وبقولولك تفضل شيخ)»!

رغم هدم الإعلاميين لجدار الخوف أمام جبروت نظام الأسد، إلا أن ممارسات الاعتقال والتغييب لاحقتهم من قبل بعض الجماعات المسلحة «المعارضة»، ليبقوا طعماً بين دفتي مسمار، ويبقى إعلام الثورة مطوياً تحت زناد البندقية!!

عادلة بَيْهَم الجزائري
١٩٠٠ - ١٩٧٥

رائدة الحركة الحركة النسائية السورية.

ولدت في بيروت عام ١٩٠٠، درست في معهد «الدياكونيز» الألماني. وتلقت علومها بالعربية على يد الشيخ عبد الله البستاني.

انتهجت القومية التحررية في سن مبكرة وتميزت بانتماء عربي عميق، وكتبت مقالات في صحيفتي «المفيد» و«الفتى العربي»، بتوقيع «الفتاة العربية نزيلة الأستانة».

بعد زواجها من الأمير مختار عبد القادر الجزائري، استقرت في دمشق وسعت بحماسة للإسهام في الأعمال الجماعية المنتظمة، واستطاعت الاستمرار والنجاح وأثرت في مجتمعها.

شاركت عادلة في تأسيس جمعية «يقظة المرأة الشامية» التي كانت تهدف إلى تشجيع اليد العاملة النسائية في الريف وإحياء الصناعات اليدوية القديمة وتطويرها، وذلك عام ١٩٢٧. وأسست مع زميلاتها معاهد «دوحة الأدب»، رغم وجود الكثير من العقبات التي فرضتها السلطة الفرنسية آنذاك. كان هدفها أن تضمن لبنات الوطن تنشئة قومية عربية تقدمية لا تقدمها المدارس الأجنبية، وتهيئهن من أجل تطوير البنيان الاجتماعي. وهكذا أُسِّست جمعية «دوحة الأدب» في اجتماع كبير عقد في مقر المجمع العلمي العربي. وخلال وجودها ضمن لجنة «كراين» الأمريكية، رفضت عادلة الوصاية والحماية والانتداب، وطالبت بالاستقلال التام للبلاد.

شاركت عادلة بيهم في تأسيس (جمعية يقظة الفتاة العربية)، وأَسَّست (جمعية الأمور الخيرية للفتيات العربيات)، كما أَسَّست لجنة تشرف على دار للصناعة اليدوية، تُقدم للعاملات في مختلف الحرف التقليدية الأجور ووجبات الطعام.

وضعت عادلة بيهم مع زميلاتها عام ١٩٣٣ نواة الاتحاد النسائي العربي السوري، الذي بدأ بثلاث جمعيات نسائية، وضم لاحقاً أربع عشرة جمعية، انتخبت عادلة رئيسة له، وبقيت في منصبها حتى عام ١٩٦٧ حين أصبحت رئيسته الفخرية.

لم يقتصر نشاط عادلة بيهم على العمل داخل سوريا، فقد كانت إحدى المؤسِّسات للاتحاد النسائي العربي العام، كما أنها مثَّلت سورية في لجنة حقوق المرأة التابعة للأمم المتحدة لأكثر من مرة.

المصدر: الموسوعة العربية
http://www.arab-ency.com/index.php

على الرجال قبول مساواة المرأة لهم إن أرادوا تحقيق التنمية

• ترجمة: محجوب منذر
فريق ترجمة سيدة سوريا

يقول رئيس صندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA) للجنة وضع المرأة (CSW): «الدفاع عن حقوق المرأة جزء رئيسي من خطة التنمية المستدامة».

ويقول رئيس صندوق الأمم المتحدة (UNFPA): «يجب أن يتعلم الرجال معنى المساواة بين الجنسين، والتوقف عن محاولة السيطرة على حياة النساء، إن كانت الأهداف الإنمائية ستسير على المسار الصحيح في المستقبل».

في لقاء جانبي بلجنة وضع المرأة (CSW) في «نيويورك»، قال المدير التنفيذي في صندوق الأمم المتحدة للسكان (باباتوندي أوسوتيميهين): «إن هياكل السلطة الحالية تمنع النساء من ممارسة حقوقهن، ما قد يضعف أثر مجموعة أهداف التنمية المستدامة القادمة».

وفي لقاء أقامه الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة (IPPF)، قال «أوسوتيميهين»: «لماذا يستطيع الرجال الحصول على كافة وسائل الحماية الجنسية دون التعرض للمساءلة، بينما يقف العالم كله ضد أي جهة تقدم وسائل منع الحمل للنساء والفتيات؟ الأمر متعلق بالسلطة، فالرجال يريدون التحكم بما تفعله النساء وتحديد ما الذي يجب عليهن فعله وكيف. يجب أن يتوقف كل ذلك، كما يجب أن يتقبل الرجال المساواة بين الجنسين».

وأضاف أنه يجب عدم الفصل بين حقوق المرأة والمساواة بينها وبين الرجل، «فالمساواة (ضمنياً) هي حق»، ويتابع: «يجب أن تكون حقوق الإنسان قاعدة رئيسية لخطط التنمية».

وفي افتتاح لقاء عقد لنقاش أهمية الصحة الجنسية والإنجابية وأهداف خطة التنمية بعد عام ٢٠١٥، قالت المديرة الإقليمية للاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة، (كارمين باروسو): «إذا توجب علينا إطلاق رؤية تطمح لعالم خال من الفقر والظلم، فحماية الحقوق الجنسية والإنجابية للمرأة ليست شيئاً مهماً فحسب، بل إنها ضرورة».

وأضافت: «خبرة عقود من العمل مع النساء علمتنا أن النساء والمراهقات اللواتي يتحكمن بحياتهن الجنسية، يتمتعن بصحة أفضل أثناء الإنجاب، وأنهن إذا استطعن التحكم بحياتهن الجنسية، فمن المرجح أن يتابعن دراستهن، ويطورن أنفسهن وعائلاتهن اقتصادياً».

مديرة السياسة في الأمم المتحدة للمرأة (ساراسوايثي مينون) قالت: «إن الاجتماع السنوي للجنة وضع المرأة (CSW)، والذي يحقق تقدماً هذا العام فيما يخص الأهداف الإنمائية لهذه الألفية، ويناقش ما يجب أن تتضمنه مجموعة الأهداف القادمة، قدّم (فرصة نادرة لتحويل حقوق المرأة إلى قضية مركزية ووضعها في المقدمة)».

ورأت أن الأهداف الإنمائية لهذه الألفية تجاهلت توصيات سابقة، قدّمت وتم توقيعها في اجتماعين دوليين في القاهرة ١٩٩٤ وبيجين ١٩٩٥، وقد أوضحت تلك التوصيات أهمية تحكم النساء بأجسادهن من أجل هدف أوسع هو تحقيق تنمية مستدامة، وقالت مينون: «يجب ألا تقتصر مجموعة الأهداف الإنمائية القادمة على الصحة الإنجابية والولادة».

في تقرير للاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة، صدر عن اجتماع قادة دوليين في «نيويورك» لمراجعة التقدم فيما يخص حقوق المرأة في الأهداف الإنمائية للألفية الثالثة، أوجزت أربعة طلبات أساسية لإيرادها ضمن أهداف ما بعد عام ٢٠١٥، وجاءت منسجمة مع دعوات نشطاء في مجال حقوق المرأة وبعض قادة العالم ومنظمات الأمم المتحدة. يؤيد الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة رؤية مستقلة حول المساواة بين الرجل والمرأة وحقوق المرأة وتمكينها، ستتضمن دخولاً شاملاً للصحة والحقوق الجنسية والإنجابية، ووضع حد للعنف ضد المرأة، كهدف ضمن أي خطة متعلقة بالصحة، على أن تكون جميع الأهداف والغايات مفصلة بحسب العمر والجنس والخلفية التعليمية والحالة الاقتصادية والموقع والمجموعة العرقية. وهناك نظم حسابات قوية، ستدعم الهدف بأموال كافية ليتم تحقيقه.

يحتوي تقرير الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة على بيانات تحدد درجة تقدم البلدان فيما يخص الصحة والحقوق الجنسية والإنجابية، ويتضمن أداء تلك البلدان في قوانين المساواة ومعدلات انتشار وسائل منع الحمل، والتمكن من الإجهاض وإنهاء ختان الإناث وزواج القاصرات. تأتي البيانات مع التحذير من أن ٢٢ مؤشراً (من أصل ٤٢ متضمنة في التقرير) تحتوي على بيانات لأكثر من ٥٠٪ من البلدان.

يذكر الحقوق الجنسية والإنجابية هي النقطة الأكثر جدلاً في أي نقاش يدور حول حقوق المرأة، فالمشاركون في الحملة يعتقدون أنهم قادرون على خفض معدلات الزواج وتغيير القوانين العائلية التقليدية، كما يمكنهم تشجيع الإجهاض والجنس بين الشباب. النقطة الأخيرة قادت لمنع نشر الثقافة الجنسية في المدارس في بعض البلدان، وهو ما يرغب ناشطون في مجال حقوق المرأة بمعالجته.

وقد أجرت عدة دول تعديلات على صياغة الوثيقة الختامية للجنة وضع المرأة هذا العام، فيما يخص حق المرأة بالتمكن من الإجهاض الآمن في حالات العنف الجنسي، واعترفوا بالنسبة السنوية العالية للوفيات من النساء بسبب الإجهاض غير الآمن. وتلاحظ الوثيقة أيضاً فشل الأهداف الإنمائية لهذه الألفية في ذكر التمييز حسب التوجه الجنسي والهوية الجنسية أو المكتشفة من قبل العاملين في مجال الجنس.

ويرجح أن تكون هذه النقاط موضوع جدل حاد (وفي نهاية المطاف محل مقايضة). المشاركون في الحملة من أصحاب الانتماء الديني أو القادمين من مجموعات محافظة أكثر، نفذوا ضغوطات كبيرة على الحكومات للوقوف بقوة ضد هذه القضايا.

وقد استطاعت لجنة وضع المرأة العام الماضي إزالة الذكر الصريح للعاملين في مجال الجنس والتوجه الجنسي من الوثيقة الختامية للعنف ضد النساء والفتيات، وذلك بهدف الحصول على توقيع نهائي من الدول الأعضاء.

ملاحظات حول العنصرية في لبنان

• د. زياد ماجد

ليس في تعبير بعض السياسيين و«المسؤولين» عن العنصرية جدّة في لبنان اليوم، فقد سبق للأخيرة أن استهدفت فلسطينيين وعرباً وأفارقة وآسيويين. كما استهدفت لبنانيين من المناطق الطرفية شمالاً وجنوباً وبقاعاً في حقبة سابقة على الحرب الأهلية ومواكبة لأولى سنواتها. لكن ثمة جديد في تجلّياتها الحالية واستهدافها للسوريين على نحو خاص. ولجديدها هذا ثلاث خصائص على الأقل.

الأولى، أن التعبير العلني عنها يأتي على نحو خاص (ولو غير حصريّ) من أطراف (وزراء ونوّاب ومجالس بلدية) هم حلفاء للنظام السوري، وفي هذا دلالة على ثقافة تشبه تماماً ثقافة الأنظمة الاستبدادية في كراهيتها للناس وحقدها عليهم، وتؤكّد أن ادّعاءات «الوقوف إلى جانب سوريا» إنما تعني الوقوف إلى جانب نظامها لأسباب سياسية وطائفية ومن منطلق شراكة في العداء للسوريّين والسوريّات.

والثانية، أن بعض مظاهره في الإعلام تقلّد مسلكيّات أقوام تعدّهم «أرفع شأناً»، متّخذة من السياق الفرنسي مثالاً، ففي فرنسا عاش أو درس أو لجأ هروباً (أواخر الحرب اللبنانية) بعض المتفوّهين بالمقولات العنصرية اليوم. والأرجح أن في بيئاتهم من لا يخفي إعجابه بحالات سياسية من أقصى اليمين العنصري الفرنسي (آل لوبان مثالاً)، وأن في استنساخهم للمقولات البلهاء لهذا اليمين عن ربط اللاجئين أو العمال الأجانب بالمشاكل الأمنية والمعيشية وبأزمات الهوية والخطر عليها كما بـ«قلّة النظافة» واستيراد الصراعات ما يضيف إلى البلاهة بلاهةً مضاعفة.

والثالثة، أن التعبير العنصري يتخطّى اليوم الفظاظة اللفظية المعهودة ليصل إلى إجراءات عملانية تشبه قرارات الحظر أو التمييز العنصري في ما خصّ ضبط حركة «الأجانب» (السوريين) وتحديدها في الفضاء العام وفق معايير زمنية، تمنع عنهم «التجوّل» في ساعات الليل، وتُتيحها في ساعات النهار حين يحتاج الشبّانَ منهم أربابُ العمل اللبنانيين ليحقّقوا على حسابهم أرباحاً تتخطّى ما كان يمكن جنيه في غيابهم.

يمكن بالطبع إضافة خصائص أخرى إلى ما ذُكر، ويمكن البحث في تراجع مستوى الثقافة السياسية في الإعلام وتصاعد العنف والتوتّرات المذهبية، وانعكاس ذلك على مفردات العنصريين وانفعالاتهم واستسهالهم الإفصاح عمّا عندهم. ويمكن الخوض في نقاش جدّي أيضاً (بعيداً عن تبسيط الأمور واعتبار وجود مليون نازح في بلد تعداد سكّانه أربعة ملايين حدثاً غير استثنائي)، والبحث في الآثار الاقتصادية الاجتماعية والديموغرافية للنزوح إن تحوّل إلى إقامات تطول نظراً لصعوبة العودة (واستحالتها في المستقبل القريب).

لكن كل هذا على وجاهته لا ينبغي أن يقدّم أي تبرير لسلوك العنصريّين وانحطاطهم، ففي الموقف الواضح منهم ما يمنع أوّلاً من أي تطبيع مع وبائهم، ويتيح بعد ذلك للنقاشات جميعها أن تستقيم، وأن تخوض في القضايا الخطيرة بلا استثناء.

ما بين روندا وسوريا

• د. رضوان زيادة
مدير المركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية

في ٧ نيسان/أبريل ١٩٩٤ حدثت في روندا أوسع جريمة إبادة جماعية في تاريخ البشرية، ففي أقل من مائة يوم قامت الحكومة المتطرفة في روندا بإبادة الأقلية من التوتسي والمعتدلين من الهوتو، عبر قتل ما يزيد عن مليون شخص العدد الأكبر بينهم من النساء والأطفال، وهو ما يعادل ٧٠٪ تقريباً من أقلية التوتسي التي تشكل ما يعادل ١٤٪ من السكان، بعد تلك الجريمة يمكن القول إن روندا كأمة وبلد قد ماتت تقريباً، فتداعيات جريمة الإبادة عليها لم تكن في قدرة أي بلد على الاحتمال، فما بالك إذا كان بلداً إفريقياً محدود الموارد، في بيئة إقليمية غير مستقرة أبداً.

لقد دمر البلد بشرياً من حيث عدد القتلى والجرحى وتداعيات حالات الاغتصاب الكبيرة التي حصلت، حيث انتشرت الإصابة بالإيدز بشكل فظيع ليصل عدد الحالات إلى أكثر من نصف مليون حالة، أما عن التداعيات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها فحدّث ولا حرج.

قمت بزيارة إلى روندا بدعوة من جامعة روندا، للاطلاع على تجارب العدالة الانتقالية بعد جريمة الإبادة الجماعية تلك. والحقيقة أن سوريا لا تشبه روندا ولا بأي شكل من الأشكال، لا اجتماعياً ولا اقتصادياً ولا سياسياً، لكن وجه المقارنة هنا هو أن سوريا أصبحت تلي روندا لجهة عدد الضحايا في النزاع، ولكون المجازر في سوريا ما زالت مستمرة على يد نظام الأسد ومليشياته، وأن رقم الضحايا يتصاعد بدون توقف، ويجعل من الصعب توقع شكل لنهاية الأمور في سوريا بعد كل هذا الدم والألم.

لقد سمح النصر العسكري الذي حققته المعارضة في تموز ١٩٩٤ (من خلال السيطرة على العاصمة كيغالي) بتطبيق رؤيتها الخاصة بالعدالة الانتقالية، حيث جنبت روندا الدخول في حلقة الانتقام أو دوامة القتل المستمرة التي لا تنتهي، فقامت بإنشاء محكمة خاصة، وبعدها، وبسبب بطء الإجراءات فيها، أنشئت ما تسمى بمحاكم «التشا تشا»، وهي محاكم على الطريقة التقليدية يراد منها إشراك الضحايا والمجرمين، بهدف تعزيز فكرة المحاسبة والمصالحة على المستوى المحلي، كما قام الحكم الجديد باعتقال أكثر من مليون شخص من المتورطين بالإبادة، وجرى تحويلهم تباعاً إلى هذه المحاكم التي أفرجت عنهم أو حكمت عليهم بما يسمى بالخدمة المحلية.

الآن تتطلع روندا إلى نمو اقتصادي برغم مشاكلها السياسية المستمرة، وما كان لها أن تعتبر كبلد «مات وانتهى»، عاد إلى الحياة من جديد.

لقد ترك المجتمع الدولي روندا كما يترك السوريين اليوم كي يعيشوا الألم وحدهم، يُقتلون يومياً بأنواع مختلفة من الأسلحة لا قِبَلَ لهم بها، فالقصف الجوي بالطائرات الحربية المقاتلة حصد أرواح أكثر من ٢٠ ألف مدني إلى الآن، وتشهد حلب هجمة من نوع جديد في استهداف المدنيين بالبراميل المتفجرة، كما كثّف الأسد استخدامه للصواريخ البالستية بعيدة المدى (والتي تصنف ضمن أسلحة الدمار الشامل) ضد المناطق التي خرجت عن سيطرته، غير عابئ بعدد الأرواح التي يمكن أن تحصدها هذه الصواريخ، ولا مكترث لحجم الدمار الذي يمكن أن تخلفه في المناطق السكنية والبنى التحتية، هذا فضلاً عن ترسانة كاملة من الأسلحة المحرمة دولياً، والتي استخدمت وتستخدم يومياً بحق الشعب السوري من القنابل العنقودية والفراغية إلى الألغام الفردية والبحرية وغيرها، وآخرها كان استخدام الأسلحة الكيماوية في ٢١ آب/أغسطس في الغوطتين وعلى نطاق واسع، ما خلف أكثر من ١٤٠٠ شهيد وآلاف المصابين.

إن إطلاق عملية العدالة الانتقالية في سوريا من أصعب وأعقد الأمور التي ستواجه المجتمع السوري بعد سقوط النظام، إذ لا يمكن لأحد أن يتحدث باسم الضحايا أو ينطق باسمهم، وقضية تحقيق العدالة بالنسبة للكثير من أسر الضحايا لا تسامح معها، ولا التفاف أو تهاون

فيها. وإذا أُخذ بعين الاعتبار الانهيار الكامل لمؤسسات الدولة السورية كمؤسسات ذات مصداقية لدى العديد من المواطنين السوريين، يتضح حجم الأذى الفادح الذي لحق على سبيل المثال بجهاز كالجهاز القضائي وبدوره في الحياة العامة في سوريا، وعليه فلن يكون النظام القضائي معداً أو مهيأً أو حتى قادراً على إطلاق عملية المحاسبة الضرورية التي ينشدها أهالي الضحايا.

لكن كما تظهر تجربة رواندا لا بديل عن مسار العدالة الانتقالية كطريق وحيد لتحقيق المحاسبة وتجنب الانتقام، إذ ينبغي الأخذ بعين الاعتبار الانقسام المجتمعي الحاصل في سوريا اليوم بسبب الموقف من النظام ومليشياته والتصعيد الذي يمارسه هذا النظام عبر التخويف أو تحريض المكونات المجتمعية السورية ضد بعضها البعض، وآخرها تأسيس ما أطلق عليه «جيش الدفاع الوطني»، الذي هو عملياً مأسسة حكومية لمليشيات «الشبيحة» شبه النظامية التي تدخل في إطار ما يمكن تسميته بالمرتزقة، إذ إن تشكيلاتها ليست سورية خالصة كما تؤكد شهادات العيان والتقارير الصحفية المتزايدة، وهي ستمثل تهديداً متزايداً للاستقرار ولبدء أية عملية للمحاسبة والعدالة. وهنا يأتي خيار اللجوء إلى ما يسمى العدالة الدولية، فجرائم نظام الأسد في الحرب وجرائمه ضد الإنسانية تدخل بكل تأكيد في اختصاص محكمة الجنايات الدولية، ولأن الموقف الروسي في مجلس الأمن يمنع إحالة الجرائم المرتكبة في سوريا إلى محكمة الجنايات الدولية، مما يعني عدم قدرة المحكمة على فتح التحقيق بجرائم الأسد التي ترتكب يومياً، بسبب ذلك يبدو الخيار الوحيد هو أن تنشئ الحكومة المؤقتة محكمة دولية خاصة تتم المصادقة عليها في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وهو ما يسمى بالمحكمة المختلطة، وهو الخيار الأفضل بالنسبة لسوريا والسوريين، إذ تتشكل محاكم على الأراضي السورية متخصصة في محاكمة جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت بحق الشعب السوري خلال فترة الثورة السورية مدعمّة بخبرات دولية ربما تكون بإشراف الأمم المتحدة.

إن الحاجة إلى الخبرات الدولية في المحاكم الوطنية (المحاكم المختلطة) في مجتمعات منقسمة يبقى الخيار الأفضل، إذ إنه سيرسل رسالة إلى كل السوريين مفادها أن الانتقام ليس الهدف، ويطمئنهم أن أشد معايير العدالة والشفافية الدولية سيتم ضمانها، ولن يكون الهدف التوجه إلى طائفة بعينها أو محاسبتها، وإنما تأسيس مسار للعدالة يضمن بناء سوريا المستقبل على أسس صحيحة.

وفي نفس الوقت فإن ذلك يعطي ثقة أكبر من المجتمع الدولي بالنظام الجديد والتزامه بالعدالة والمصالحة، ويثبت أنه لا مكان لسياسات الثأر أو الانتقام ضمن برنامجه، في وقت سيحتاج فيه السوريون دعم المجتمع الدولي (الذي خذلهم بشكل كبير) لإعمار بلدهم وبناء مؤسساتهم المستقبلية بكل الأحوال، وبالتالي فإن بناء الثقة به مسألة بغاية الأهمية، لكن على السوريين أن يدركوا أيضاً أن هناك حدوداً للمساعدة يمكن أن يقدمها المجتمع الدولي، وأن عليهم في النهاية الاعتماد على أنفسهم في بناء ديمقراطيتهم في المستقبل.

ربما يتعلم السوريون اليوم أن الطريق إلى المستقبل لابد أن يمر من خلال العدالة الانتقالية، لكي تخرج سوريا من محنتها وتستعيد دورها في المستقبل.

نظام الأسد وهاجس الشرعية المفقودة

• بكر صدقي

لطالما بحثت الأنظمة الدكتاتورية، على مختلف أنواعها، عن شرعية ما تغطي على بداهة اغتصابها ما لا تستحقه، أي السلطة السياسية. وفي غالب الحالات يستسلم المحكومون أمام قسوة الشروط التي يجدون أنفسهم فيها في ظل اغتصاب الحكام الدكتاتوريين للسلطة، بانتظار شروط أفضل تمكنهم من المقاومة على طريق استعادة ما سلب منهم عنوةً.

في عصر الأيديولوجيات الكبرى، حدث انزياح خطير من الشرعية الشعبية التي تشكل أساس النظام الجمهوري ومعناه، إلى «شرعية ثورية» مستمدة من أفكار ومفاهيم مجردة ومفارقة للواقع كـ«الثورة» و«الحرية» و«الطبقة العاملة» و«الإشتراكية» و«الإسلام» أو «الشريعة» أو «الوحدة العربية» وغيرها مما يمكن لأي مغامر أفّاق أن يرفعها شعارات يمكن تسويقها، إذا امتلك أدوات العنف اللازمة، وشيئاً من خبث الطوية، والطموح السلطوي، والقدرة على إقناع القوى الدولية العظمى أو بعضها.

شكل انهيار النظام السوفييتي وملحقاته الإمبراطورية في شرق أوروبا، نقطة انعطاف تاريخية نحو إعادة الأمور إلى نصابها واستعادة مرجعية الشرعية من عالم الشعارات إلى عالم الشعب أو المجتمع الملموس المكون من أفراد وجماعات. هذا ما رفع الطلب على مفاهيم

حقوق الإنسان الفرد وتجريم الإرهاب، ورفع الغطاء عن الانقلابات العسكرية كوسيلة لتداول السلطة. استعادت شعوب شرق أوروبا مصيرها المسروق في أواخر الثمانينات، وكانت شعوب أميركا الجنوبية سبقتها إلى ذلك. المنطقة التي تأخرت عن ركب «الثورات الديموقراطية» هي المنطقة العربية المبتلية بقدرية «إما العسكر أو الإسلاميين».

هذا «القدر» هو ما ثارت عليه الشعوب العربية من تونس إلى مصر فليبيا واليمن وسوريا، فيما سمي «الربيع العربي» إضافة إلى إرهاصات مهمة تم وأدها بالقمع أو السياسة أو بمزيج من كليهما، في المغرب والجزائر وموريتانيا والسودان والبحرين والسعودية وعمان والأردن. بل إن آثار موجة الحرية هذه امتدت خارج العالم العربي نحو موسكو وواشنطن واسطنبول وغيرها من العواصم.

غير أن لمفهوم الشرعية في نظام الأسد أبعاداً أخرى، فحين قام الأب بانقلابه العسكري، خريف العام ١٩٧٠، سعى إلى التغطية على افتقاده للشرعية باستمالة رأس المال السني في دمشق وحلب، وفي ذهنه أن رئاسته لسوريا غير شرعية، ليس بسبب استيلائه عليها بانقلاب عسكري، بل أساساً لأنه ينتمي إلى الأقلية العلوية. ربما هذا ما دفعه إلى الاختباء، مؤقتاً، وراء أحمد الخطيب إلى حين ترتيب أمور تحالفاته وصولاً إلى الاستقرار على كرسي الرئاسة. غير أن مشروعية حكمه الأساسية إنما استمدها من القوى العظمى والدول العربية التي صادقت على توليه وأقامت معه العلاقات الطبيعية. بعد ذلك سارع إلى وضع دستور يناسبه تماماً ويضع بين يديه جميع السلطات المطلقة، فباتت دكتاتوريته الفظة تتمتع بشرعية دستورية تضاف إلى شرعيته الخارجية.

بعد حرب مطلع الثمانينات، ١٩٨٠-١٩٨٢، التي خرج فيها منتصراً على المجتمع السوري، بكلفة بلغت عشرات آلاف القتلى

والمفقودين والفارين، ولم يخسر شيئاً من شرعيته الخارجية، أطلق العنان لأجهزته الأمنية تنكيلاً صامتاً بالمجتمع وتدخلاً فظاً في كل صغيرة وكبيرة من حياة الناس، فتغير مفهوم الشرعية بصورة غرائبية: بدلاً من وجوب امتلاك الحاكم للشرعية الشعبية، بات الشعب بحاجة لشرعية يستمدها من ولائه للحاكم وانصياعه لأجهزة المخابرات المرعبة.

لكن هاجس الشرعية عاد بقوة مع اقتراب أوان وفاة الدكتاتور العجوز، وانشغاله التام بإعداد نجله باسل لوراثة الحكم. وإذ مات هذا في حادث سير، تحوم حوله بعض الشكوك، انتقلت ولاية العهد إلى بشار الذي تم إعداده على عجل، واستلم بعض الملفات المهمة وقام بزيارات شبه رسمية إلى باريس ولندن للحصول على الشرعية الدولية التي لا بد منها لتمرير التوريث. وهذا ما حصل عليه، حين حضر جنازة الدكتاتور المؤسس ممثلو الدول الثلاث العظمى (الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا) وباركوا توريث الحكم مفضلين «الشيطان الذي يعرفون، على ذاك الذي يجهلون».

«الهاجس العلوي» الذي طالما أقض مضجع الدكتاتور الراحل، لم يحضر أبداً في ذهن بشار الذي أطلق العنان لابن خاله رامي مخلوف في ميدان الاقتصاد، في رمزية لاستيلاء العلويين على الميدان العام، أكملها علي الديك في

الثقافة والإعلام. بكلمات أخرى: مقابل حذر حافظ الأسد الشديد في تغطيته على انتمائه الأقلوي، أصبحت طبقة الجيل الأسدي الثاني (بشار – رامي) تجهر مفاخرةً بهويتها الأقلوية وثقافتها. وبات هذا الانتماء مصدر شرعية إضافية للدكتاتور الصغير هي شرعية تمثيله للعلويين. وإذا كان استهتاره هذا قد ساهم إلى حد كبير في فقدان شرعيته لدى المتن الاجتماعي السني العريض بسبب اقتران هذا الاستهتار الثقافي باستهتار طبقي صريح (تهميش وإفقار غالبية كبيرة من الشعب)، فقد عوض ذلك بروابط مصلحية وزبائنية قوية بالبورجوازية السنية في دمشق وحلب، وباتت جموع المهمشين خارج اهتمام الطبقة «المخلوفية» الصاعدة.

اليوم، والنظام يستعد لإجراء انتخاباته الرئاسية على أشلاء سوريا ونسيجها الاجتماعي، فهو يفعل ذلك، أيضاً وأيضاً، تحت ضغط حرج الشرعية، على رغم هزلية هذه الانتخابات بالنظر للأوضاع القائمة. فمن جهة أولى، ها هو يحول الاستفتاء المعهود الذي طالما انتهى بفوز الدكتاتور بمعدل يقترب من ١٠٠٪، إلى انتخابات «تعددية» ملتمساً في ذلك شرعيته من «المجتمع الدولي» بمعاييره المعروفة حول تداول السلطة والانتخابات الحرة التعددية. ومهما بدا منظر «المتنافسين الثلاثة» هزلياً، فهو يلتزم شكلياً بمعيار تعدد المرشحين وتنافسهم.

ومن جهة ثانية، ما زال إعلام محور الممانعة يعمل بكامل طاقته لتسويق «شرعية ممانعة» مزعومة لمرشحها الغارق في بحر الدم السوري، على رغم تهافت إيديولوجيا الممانعة وسقوطها المدوي بعد اندلاع ثورات الربيع العربي، والثورة السورية بصورة خاصة. غير أن ما يسمى بالممانعة تحول، بصورة تزداد وضوحاً كل يوم، إلى تخندق مذهبي في صراع إقليمي، أي إن محور الممانعة يكاد يتطابق مع محور شيعي صريح يمتد من شيعة أفغانستان إلى إيران إلى شيعة العراق وعلويي سوريا وشيعة لبنان وحوثيي اليمن، مقابل «محور سني» حل محل إسرائيل والإمبريالية الأميركية في موقع العدو في الرطانة الممانعة.

غير أن شرعيته المحلية كادت اليوم تقتصر على الطائفة العلوية التي فشلت، بعد أكثر من ثلاث سنوات، في إيجاد ممثل بديل لها عن العصبة الحاكمة بقيادة بشار. وهذا ما يسعى النظام إلى تكريسه وتوكيده من خلال الانتخابات الرئاسية، هو الذي سبق وأعلن في خطاب يعود إلى حزيران ٢٠١٢، بأنه يكتفي برئاسة قسم من السوريين هو القسم الموالي.

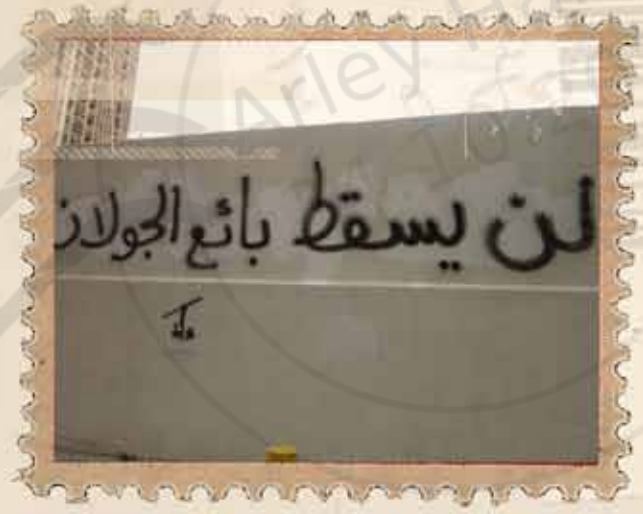

جين آدامز ١٨٦٠–١٩٣٥

جين آدامز، مصلحة اجتماعية وناشطة سلمية، قادت حركة بيت التوطين الأمريكية، مؤسسةً (هول) منزل التوطين الأكثر شهرةً في شيكاغو (١٨٨٩).

ولدت آدامز في مدينة (سيدارفيل) في ولاية (إلينويز) عام ١٨٦٠، وتخرجت من جامعة (روكفيل) في عام ١٨٨٢. وفي عام ١٨٨٩ أسست منزل (هول) في شيكاغو حيث عاشت وعملت حتى وفاتها في عام ١٩٣٥. (هول) كان بيت ومكان تجمع المصلحين الذين استقروا في الحي، وقدموا خدماتهم فيه، حيث جلبت المستوطنات مجموعة واسعة من الخدمات الاجتماعية للمهاجرين والمدنيين الفقراء. كان المصلحون مؤمنين أن التوطينات هي المكان الذي تستطيع كافة الطبقات اللقاء فيه، من أجل حل مشاكل الصناعة في المناطق المدنية. جمعت آدامز حولها عدداً من النساء المميزات اللاتي ابتكرن حلولاً على شكل السياسات الاجتماعية للقرن العشرين.

استجابةً لحاجات المجتمع، مهدت نساء بيت (هول) لجلب الخدمات الاجتماعية لأحياء المهاجرين والطبقة الكادحة. أقمن يوماً لرعاية الطفل، وأنشأن الملاعب، وقدّمن خدمات صحية، وأجرين دراسات عن المواد السامة في المعامل. وحققن في الأحياء الفقيرة (مُؤسّسات مهنة علم الاجتماع المدني)، وأحدثن ممراً لتفتيش المعامل، وطالبن بإنهاء عمل الأطفال وتحسين ظروف السكن والمصانع، وبساعات عمل أقل وأجر أعلى وقوانين حماية للعمل، وأنشأن أول محكمة للأحداث في البلاد.

كانت آدامز محاضرة موهوبة وكاتبة كبيرة. كتابها الأكثر شهرة هو «عشرون عاماً في بيت (هول)» في عام ١٩١٠. كانت مؤيدة كبيرة للاقتراع، وشغلت منصب نائب رئيس جمعية المرأة الأمريكية الوطنية للاقتراع (NAWSA)، وكتبت وتحدثت كثيراً عن أهمية تصويت المرأة. أنشأت وترأست حزب السلام للمرأة في عام ١٩١٥، وكانت أول رئيسة للرابطة الوطنية للمرأة من أجل لسلام والحرية في عام ١٩١٩. حازت عام ١٩٣١ على جائزة نوبل للسلام، لعملها لسنوات في النشاط السلمي. الاختصار من الحريات المدنية والهجوم على دعاة السلام في الحرب العالمية الأولى، واتهامها بالخيانة لمعارضتها الحرب، دفعها للمساعدة على تأسيس الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية في عام ١٩٢٠. توفيت عن عمر يناهز ٧٤ عاماً، بعد أن أثر عملها في ميدان العدالة على كل مظاهر الحياة الأمريكية.

https://www.nwhm.org/online-exhibits/rightsforwomen/Addams.html

معتقلات..
فيلا يعرب الشرع

• ياسمينة بنشي

بثيابها ممزقة وصلت(هـ.ع) إلى سجن عدرا المركزي، منكسرة تائهة النظرات.. يرتعش جسدها النحيل خوفاً، وتغيب الحياة عن ملامح ابنة العشرين في وجهها وهي تبحث عن الأمان وبعض الدفء..

لم تصدق أنها وصلت أخيراً إلى مكان أكثر أماناً من ذاك الفرع القذر الذي اعتقلت بداخله لأكثر من ثلاثة أشهر، وصلت سجن عدرا المركزي الذي يغص بمئات المعتقلات القادمات من كافة فروع الأمن.

بكثير من الخجل والانكسار اختارت زاوية قرب الحمام لتقضي الوقت فيها وحيدة، مبتعدة عن كل المعتقلات، متجاهلة كل من تجرب التحدث إليها، رغم محاولة الكثيرات منهن الاقتراب منها ومعرفة سرها.

وحدي استطعت جذبها للكلام، حين جربت أن أكون قريبة منها دون أن أشعرها بفضولي ولا رغبتي بمعرفة قصتها إن لم ترغب هي بروايتها.

كانت (هـ.ع) من أبناء جبل الأكراد بريف اللاذقية في طريقها من جبل الأكراد إلى مدينة اللاذقية، وفي حقيبة يدها (٦٠ ألف ليرة سورية) كلفة عملية جراحية وجب إجراؤها لأختها الصغرى في أحد مشافي المدينة بتاريخ ٢٠١٣/٦/٢٨ ، وعند بلوغها أحد الحواجز التابعة لما يسمى «جيش الدفاع الوطني» قام عنصر بتفتيش حقيبتها، وبمجرد رؤية المبلغ أصبحت التهمة جاهزة: «هذا المبلغ لتمويل الإرهابيين وأنت تقومين بإيصاله لهم»...

حاولت جاهدة أن تشرح لهم وهي تقول حقيقة لا يريدون سماعها ولا تصديقها.

اقتادوها إلى مقر فرع جيش الدفاع الوطني في المدينة الرياضية على أطراف محافظة اللاذقية، والذي كان يتزعمه هلال الأسد... وضعوها منذ اليوم الأول داخل منفردة مظلمة، تفوح منها رائحة العفن والدماء. ضربوها وعذبوها بشكل يومي، وجبة واحدة هي كل ما كان يقدم لها. بعد خمسة وعشرين يوماً تم تحويلها إلى معتقل في أحد مقرات الحرس الجمهوري في دمشق لمدة ثلاثة أيام، ثم تأتي دورية لاصطحابها مقيدة اليدين معصوبة العينين إلى التحقيق.

تحقيق روتيني لم يختلف عن سابقه في فرع اللاذقية إلا بازدياد كم الضرب والتعذيب، ونهاية الجلسة حين قال لها المحقق: «ستذهبين مع (الشباب)... إياك أن تصدر عنك أي كلمة تزعجهم». اضطربت كثيراً بعد سماع كلماته، لم تستطع رسم شكل للطريق، ولا تقدير طوله وهي تعبره معصوبة العينين، وكل ما فيها يرتجف خوفاً من مجهول ينتظرها.

وصلت، الصراخ يغشي المكان حد العجز عن تمييز مصادر الصرخات والأنات لكثرتها. ساقها أحد العناصر لتصعد الدرج وتدخل، وهي لاتزال مقيدة معصوبة العينين إلى غرفة، كل شيء كان ساكناً في تلك الغرفة ما عدا قلبها الذي خفق بسرعة جنونية، فجأة علا صوت أحدهم يقول لها: «سأفك قيود يديك لتخلعي ثيابك، فافعلي دون أن تصدري أي صوت، وإلا وضعت رصاصة في رأسك». بكت وتوسلته ألا يقترب منها، كانت تسمع صوته دون أن تراه وهو يركلها على الأرض ويأمرها بخلع ملابسها بسرعة، ويقول: «خلصينا... عندي شغل».

الدقائق التي انقضت وهو يغرز أظافره في جسدها فيما هي تستغيث مرت طويلة ثقيلة،

اكتفى بالنهوض طالباً منها أن ترتدي ثيابها وأن لا تتفوه بكلمة حول ما حدث كي لا يضطروا لقتلها... غادر الوحش الغرفة وغرقت هي بدموعها ودماء عذريتها.

خطر ببالها أن تستغل وجودها وحدها وتسترق النظر من نافذة الغرفة في محاولة عابثة لاستكشاف المكان، كانت في الطابق الثاني داخل فيلا كبيرة يعلو فيها الصراخ من غرف التعذيب والاغتصاب..

فيما بعد علمتُ أنها فيلا المنشق «يعرب الشرع» في منطقة صحنايا بدمشق وقد استولت عليها قوات النظام بعد سفره خارج البلاد، وفق ما أكدته صديقتنا المعتقلة (أ.ش) التي عملت كعنصر متطوع في ذاك الفرع، إلى أن اكتشفت جرائمهم وشاهدت بعينها استباحتهم للنساء، وحين لمّحت أنها ستفضح ممارساتهم، قام عناصر الفرع ذاته باعتقالها بتهمة العمالة المزدوجة.

كانت (هـ.ع) تبكي طوال الليل إلى أن تغيب في حالة أقرب إلى الإغماء منها إلى النوم، هي التي حرمها الخوف من الرقاد منذ أوقفوها على الحاجز في اللاذقية..

أكثر ما أخافها كان التفكير بمواجهة أهلها ومحيطها، كانت تردد أمامي دائماً أن والدها سيقتلها إن علم بقصة اغتصابها خشية العار، وأن الجميع سيتجنبها في مجتمع متعصب مقيد بالعادات والتقاليد التي لا تراعي مظلوميتها، هي التي لا ذنب لها فيما حدث، ولا تملك ما تفعله إزاءه.

كانت منطوية، قليلة الكلام والحركة، تؤمن

بحقيقة مايحدث في سوريا وتتمنى أن تستمر الثورة حتى سقوط نظام الظلم هذا، لم تقم بأي عمل في مجال الحراك الثوري، ذنبها الوحيد كان وجود ذاك المبلغ في حقيبتها، فتمويل الإرهابيين وإيصال المال لهم كانت تهمة غالبية المعتقلات.

قضت (هـ.ع) داخل سجن عدرا المركزي مدة شهرين قبل أن يتم استدعاؤها إلى محكمة قضايا الإرهاب في دمشق بتاريخ ٢٠١٣/١٠/٥، لتشرح قضيتها للقاضي دون أن تخبره بحادثة اغتصابها، خوفاً من أن يصل الخبر للمحقق الذي هددها. المفاجأة بالنسبة لها كانت في إخلاء سبيلها لعدم وجود إثبات أن المبلغ كان لتمويل الإرهابيين. في ذلك اليوم لم تعد من المحكمة كما عادت الأخريات من المفرج عنهن، بكت بحرقة، خوفها من مواجهة الناس خارج قضبان السجن حرمها أن تعيش فرحة إخلاء سبيلها، زاوية المهجع رقم واحد كانت ملاذها الوحيد في الهروب من ألم واقعها، في كل ليلة تستعيد ما حدث معها، ترتبه في ذهنها وفق تتابعه وتردد بصوت خافت: «آه يا وطن.. مغتصبة أنا كحريتك، عشت لأشهد احتراق زمن جميل ربما لن يعود».

قبل أن تغادر(هـ.ع) السجن اقتربت منها، كنت أعلم مقدار الخوف الذي يجتاحها من لقاء أهلها، طلبت منها ألا تخبرهم ، ووعدتها أني سأذهب لخطبتها عروساً لأخي حين أخرج..

خرجت بعد خمسة أشهر، وكانت أول شخص فكرت بالبحث عنه، هاتف أهلها لم يجب، وأنا لم أستطع حتى اليوم الوصول إلى أية معلومة ترشدني إليها. لا أدري ما الذي حل بها، ولا أدري إن كانت ما زالت تنتظر وعدي الذي أطلقته لأهدئ من روعها أنا التي شهدت على حزنها ومأساتها، أفكر كثيراً بهذا الوعد، وأتساءل ترى ما الذي سيغيره وسط كل ما يحدث في سوريا من قتل ودمار، وماذا عن مجتمعنا الذي يستطيع في لحظة واحدة نسيان كل الظلم الواقع عليه، الموت والبراميل.. المجازر وحوادث الذبح، ليعاقب فتاة لا ذنب لها إلا إنها اغتصبت في سجون آل الأسد، وتغتصب هي وكثيرات غيرها من قبل مجتمع متعصب، يعرف كيف يضع السكين على عنقها، لكنه لا يعرف كيف يضمد جراحاتها ويحميها.

السيـداو

لأهميتها، تقوم مجلة «سيدة سوريا» بنشر اتفاقية السيداو على أجزاء، بدءاً من العدد الثاني.

المادة ١١

١. تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في ميدان العمل لكي تكفل لها، على أساس المساواة بين الرجل والمرأة، نفس الحقوق ولا سيما:

(أ) الحق في العمل بوصفه حقاً ثابتاً لجميع البشر.

(ب) الحق في التمتع بنفس فرص العمالة، بما في ذلك تطبيق معايير اختيار واحدة في شؤون الاستخدام.

(ج) الحق في حرية اختيار المهنة ونوع العمل، والحق في الترقية والأمن على العمل وفي جميع مزايا وشروط الخدمة، والحق في تلقّي التدريب وإعادة التدريب المهني، بما في ذلك التلمذة الحرفية والتدريب المهني المتقدم والتدريب المتكرر.

(د) الحق في المساواة في الأجر، بما في ذلك الاستحقاقات، والحق في المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالعمل ذي القيمة المساوية، وكذلك المساواة في المعاملة في تقييم نوعية العمل.

(هـ) الحق في الضمان الاجتماعي، ولا سيما في حالات التقاعد والبطالة والمرض والعجز والشيخوخة وغير ذلك من حالات عدم الأهلية للعمل، وكذلك الحق في إجازة مدفوعة الأجر.

(و) الحق في الوقاية الصحية وسلامة ظروف العمل، بما في ذلك حماية وظيفة الإنجاب.

٢. توخياً لمنع التمييز ضد المرأة بسبب الزواج أو الأمومة، وضماناً لحقها الفعلي في العمل، تتخذ الدول الأطراف التدابير المناسبة:

(أ) لحظر الفصل من الخدمة بسبب الحمل أو إجازة الأمومة والتمييز في الفصل من العمل على أساس الحالة الزوجية، مع فرض جزاءات على المخالفين.

(ب) لإدخال نظام إجازة الأمومة المدفوعة الأجر أو المشفوعة بمزايا اجتماعية مماثلة دون فقدان للعمل السابق أو للأقدمية أو للعلاوات الاجتماعية.

(ج) لتشجيع توفير الخدمات الاجتماعية المساندة اللازمة لتمكين الوالدين من الجمع بين الالتزامات العائلية وبين مسؤوليات العمل والمشاركة في الحياة العامة، ولا سيما عن طريق تشجيع إنشاء وتنمية شبكة من مرافق رعاية الأطفال.

(د) لتوفير حماية خاصة للمرأة أثناء فترة الحمل في الأعمال التي يثبت أنها مؤذية لها.

٣. يجب أن تُستعرض التشريعات الوقائية المتصلة بالمسائل المشمولة بهذه المادة استعراضاً دورياً في ضوء المعرفة العلمية والتكنولوجية، وأن يتم تنقيحها أو إلغاؤها أو توسيع نطاقها حسب الاقتضاء.

هل أنت ضحية له؟
العنف اللفظي يدمر الثقة بالنفس

• نجاح سفر

عدم الثقة بالنفس دافع رئيسي وراء ممارسة العنف اللفظي ومحاولة السيطرة على الشريك، فالمسيء يحتاج لشخص يشعر بالضعف أمامه، ليعوض عدم تقديره لذاته، وربما كان المسيء ضحية عنف لفظي، مارسه أحدهم عليه في طفولته.

والعنف اللفظي سلوك يكرس لدى المرأة حين يقع عليها، الشعورَ بأنها تستحق النقد، لذلك تستمر في التحمل ولا تتذمر، ما يؤثر على ثقتها بنفسها.

العنف ضد المرأة ظاهرة اجتماعية تعاني منها النساء في كل أنحاء العالم، حيث يُمارس عليها العنف الجسدي والجنسي والنفسي، متعارضاً بذلك مع القيم الحضارية، والأديان السماوية، وكل الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق المرأة وحقوق الإنسان بشكل عام. لكن هناك نوعاً معيناً من العنف، ربما يكون أقسى من العنف الجسدي، وهو العنف اللفظي، الذي تتهرب نساء كثيرات من فكرة أنهن ضحايا له. فهل يشكل الهروب حلاً، أم على المرأة مواجهة المشكلة، ومحاولة إيجاد حل جذري لها، قبل أن تتفاقم الأمور وتصل إلى مرحلة اللاعودة؟

يعتبر العنف اللفظي من أخطر أنواع العنف، فهو غير ملموس، ولا أثر واضحاً للعيان عنه، وهو شائع في جميع المجتمعات، غنية كانت أم فقيرة، متقدمة أم نامية، وله آثار مدمرة على الصحة النفسية للمرأة، وتكمن خطورته في أن القانون قد لا يعترف به، كما ويصعب إثباته.

ويطلق على العنف اللفظي «العنف الرمزي» لأنه يتميز بعدم القيام بأي فعل تنفيذي، بل يقتصر على الاستهتار والازدراء، واستخدام وسائل الهدف منها طمس شخصية الضحية، أو إضعاف قدرتها الجسدية والعقلية، مما يُحدث تأثيراً سلبياً على استمرارها في حياة سعيدة وقيامها بنشاطاتها الطبيعية.

فالعصي والحجارة قد تكسر العظام، لكن الكلمات تؤذي الروح، هذا ما يحدث لآلاف ضحايا العنف اللفظي، الذي تتعرض له النساء ضمن الأسرة، أو من خلال العلاقة الزوجية، أو في أماكن العمل.

ما هو العنف اللفظي؟

يعرّف علماء الاجتماع العنف اللفظي بأنه «إساءة استعمال القوة، وهو ليس مجرد صراخ أحدهم في وجه الآخر، بل نموذج أوسع لسلوك قهري وتسلطي». وسواء أخذ العنف اللفظي شكل السخرية أو الانفجار غضباً، فإن آثاره على المدى البعيد تتجاوز آثار العنف الجسدي.

وتتعرض النساء في العشرينات أو الثلاثينات من أعمارهن بشكل خاص، لخطر التعرض للعنف اللفظي، معظمه يكون في أماكن العمل، وبعد زواجهن يكون على لسان الزوج في المنزل، فعندما تنتقل المرأة من عاملة مستقلة إلى زوجة وأم، يؤثر كثيراً على تقديرها لنفسها، ما يجعل منها شخصية سريعة التأثر. لكن النساء اللاتي يعملن في مجالات الإبداع والأعمال الإدارية والوظائف العالية، لا يتقبلن فكرة أن يتعرضن لهذا التهديد.

العنف ضد المرأة ظاهرة اجتماعية تعاني منها النساء في كل أنحاء العالم، حيث يُمارس عليها العنف الجسدي والجنسي والنفسي، متعارضاً بذلك مع القيم الحضارية، والأديان السماوية، وكل الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق المرأة وحقوق الإنسان بشكل عام. لكن هناك نوعاً معيناً من العنف، ربما يكون أقسى من العنف الجسدي، وهو العنف اللفظي، الذي تتهرب نساء كثيرات من فكرة أنهن ضحايا له.

خلف الأبواب المغلقة

تقف معظم النساء حائرات وغير مصدقات عندما ترين الانقلاب الجذري لشخص كان يوماً محباً ولطيفاً في التعامل معهن، وتصبح مهمتهن استرداد حب واحترام الشريك المنقلب.

العنف اللفظي سلوك ماكر، مخادع، حيث يمكن للمسيء أن ينكر إساءته، أو توصيلها إلى الطرف الثاني بكلمات عادية تصاحبها ابتسامة ساخرة، مما يتسبب له بإحباط وعدم تقدير للذات شديدين، ومع الزمن يكرس هذا السلوك شعوراً داخلياً لدى الضحية بأنها تستحق النقد، لذلك تستمر في التحمل ولا تتذمر.

والدافع لذلك التصرف هو القوة، فالمرأة التي تتعرض للعنف اللفظي، تعلم أن شريكها هو الطرف القوي

في العلاقة، وتزداد قوة المسيء عندما يولد للعائلة طفل، أو تحصل المرأة على عمل جديد، ما يُشعر الرجل بالإقصاء من حياة زوجته.

أماكن العمل

هناك مشاكل مشابهة تواجه ضحية العنف اللفظي في أماكن العمل، حيث يمكن تأويل الإساءة من زميل العمل ببساطة على أنها «نقد بناء». وقد ورد في إحدى الدراسات أن العنف اللفظي في أماكن العمل لا يصدر فقط عن الرجال، بل يمكن للنساء اللاتي يتقلدن مناصب متقدمة في العمل، ممارسة العنف اللفظي ضد من تجده في حالة ندية لها، أو من يعاندها في العمل، أو غيرها من التصرفات التي لا تُرضي مزاج المسؤولة. وقد تستمر الحالة إلى أن تنقلب حياة الضحية إلى جحيم، مما يدفع الكثيرات للاستقالة من عملهن.

دوافع الإساءة

يرى الخبراء المتخصصون بأمور الأسرة أن عدم الثقة بالنفس، هي الدافع الأساسي للعنف اللفظي، فعند مشاهدة طرف من أعضاء الأسرة يسلك سلوكاً مهيناً تجاه الطرف الآخر، يمكنك التأكد من أنه لا يقدر نفسه حق قدرها. لكن المشكلة أن الضحية لا ترى الأمور على هذا النحو، وتجد صعوبة في التأقلم مع الإهانات التي تتلقاها باستمرار، خصوصاً من شخص مقرب جداً.

نضرب مثالاً على ذلك حالة (سارة، ٣٩ سنة)، حيث مارست زوجة والدها العنف اللفظي عليها لمدة ١٣ عاماً، بحيث كانت توجه إليها الملاحظات الساخرة بشكل دائم. على سبيل المثال، كانت زوجة الأب تطلق على سارة لقب «رقم ٢»، وذلك لأن زوجها كان متزوجاً قبلها، كما أنها لا تعرف كيف تتأنق أو تطبخ أو تعامل زوجها أو... أو... مما شكل لدى سارة أذىً نفسياً دائماً، حاولت تفاديه بإقامة علاقة صحية مع زوجها، إلا أن نقد زوجة أبيها المستمر لها كان يلاحقها باستمرار ويربك حياتها.

أيضاً (زوجة تحمل شهادة الدكتوراه)، يضغط زوجها عليها بوسائل متعددة للجلوس في المنزل بحجة رعاية الأطفال والاهتمام بالبيت. أو تلك التي تشغل منصباً مرموقاً في عملها، يحقرها زوجها بشكل دائم، ويحجم من فاعليتها في المجتمع، مخلفاً إهانة نفسية لديها. وهناك المرأة التي اقتحمت العمل السياسي، أو دخلت ميدان القضاء، وأخذت دورها في صنع القرار، لكنها لم تنجُ من الضغط النفسي على الرغم من إثبات جدارتها، فعمل المرأة في مواطن صنع القرار ما زال موضع هرج وتعليق أو استهجان من الرجال، وهذا بحد ذاته عنف لفظي، وهو للأسف يستفحل في مجتمعنا ويكرس النظرة السلبية تجاه المرأة بشكل عام، والمرأة العاملة بشكل خاص.

ما الحل؟

على الضحية أن تعترف بأنها فعلاً ضحية للعنف اللفظي، وألا تتهرب من هذا الأمر وتحاول إخفاء المسألة، أو الإذعان لفكرة أنها تستحق ما يحصل لها. وبعد تقبّل فكرة أنها ليست السبب فيما يحدث من مشاكل، وأنها لا تستحق الاضطهاد النفسي الذي تعانيه، عليها اتباع خطوات عملية لحلها. على الضحية أن تجعل المسيء يعلم أن لها حق الشعور بالأمان والاحترام، وألا تتهاون تجاه أي إهانة لفظية يوجهها إليها. كما عليها الاعتراف أن هناك أموراً تعجز عن القيام بها بشكل أفضل، مهما بذلت من جهود، وعليها اللجوء إلى اختصاصيين لمساعدتها في استعادة ثقتها بنفسها، والتي هدرها الطرف المسيء.

في مجال العمل، عليها اللجوء إلى مديرها، لكن إذا كان هو من يمارس عليها العنف اللفظي، عليها التوجه إلى الشؤون الإدارية. أما إذا كان الأمر يحدث ضمن علاقة زوجية، فلا بد من المواجهة مع الطرف المسيء، ومحاولة إيجاد حل يرضي الطرفين. فعلى من يمارس العنف الاعتراف بالجذور العميقة لعدم ثقته بنفسه، ومواجهتها بحيث يمكنه التخلص منها، واستعادة ثقته بنفسه واحترامه للطرف الآخر، وهي الطريقة التي تكسر دائرة العنف اللفظي.

الطفولة
الأداة التي نرسم بها مستقبلنا..

• رشا غيبور

«أعطوني مجموعة من الأطفال الأصحاء سليمي البنية، وأنا كفيل أن أخرج منهم الطبيب، والمحامي، والفنان، والتاجر، ورئيس العمل، بل والشحاذ، واللص، بصرف النظر عن استعداداتهم وميولهم وقدراتهم وأعمال آبائهم وأصولهم الموروثة، فليس ثمة شيء اسمه وراثة القدرات أو المهارات أو المزاج أو التكوين العقلي.... إلخ»، هذه هي العبارة الشهيرة التي رد بها عالم النفس الأمريكي «وطسن» على أنصار الوراثة، الذين تطرفوا في إعطائهم الدور الأكبر وربما الدور كله لعوامل الوراثة في تكوينها لشخصية الفرد، إلى حد أنكروا على البيئة دورها، وجعلوا من الوراثة الصانع الرئيسي للإنسان، فماثلهم بذلك في التطرف، بالرغم من اختلاف الاتجاه الذي انحاز إليه. إلا أنه في واقع الأمر لا يسعنا إلا أن نحذو حذو من أنصف من العلماء وأعطى كل ذي حق حقه ،على الرغم من ميل أولئك الواضح لدور البيئة، فما يأخذه الفرد من مورثات من آبائه وأجداده، يظهر جلياً في صفاته الجسدية سواء طول قامته أو لون بشرته أو شكل شعره وغير ذلك من الصفات، لكن يبقى للعوامل البيئية الدور الأكبر في تكوين شخصية الفرد، والطريقة التي ينمو بها، والتي يتوقف عليها تمتعه بالصحة الجسمية والنفسية والعقلية والتكيف النفسي، فإن سار نمو الفرد بشكل سليم كبر متكيفاً مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه، ومتمتعاً بالقوة والصحة، وبذلك يغدو قادراً على الإبداع والإنتاج بما يعود بالفائدة عليه وعلى مجتمعه.

تسهم البيئة سواء الاجتماعية أو الثقافية أو غيرها في تكوين شخصية الفرد في كافة مراحل حياته، إلا أنه تبقى للطفولة خصوصيتها في هذا المجال، فقد أكد الكثير من علماء النفس والمشتغلين في مجال التربية، أن السمات الشخصية لدى الكبير ما هي إلا امتداد للخبرات المبكرة التي سبق أن مر بها في طفولته، وذلك لما يكون عليه في بداية أمره من مرونة وسرعة في التعلم وسرعة اكتساب الكثير من العادات والاتجاهات الجديدة، فمرحلة الطفولة هي المرحلة التي تتكون فيها بذور شخصية الفرد، ويتحدد إطارها العام، وهي التي يتكون خلالها ضميره الواعي، وبالتالي فإن التجارب التي يمر بها الطفل أثناء هذه المرحلة تبقى ثابتة ومؤثرة إلى حد كبير طوال مراحل حياته الأخرى. ومما لاشك فيه أن تأثير تلك العوامل البيئية بكل ما تنطوي عليه من عوامل أسرية وتربوية واجتماعية واقتصادية، والكيفية التي تلعب من خلالها دورها في نمو الفرد، لا تقتصر على جانب واحد، فهي تطال الفرد بكل خصائص نموه، فلكي يتمتع الطفل بالنمو الجسدي الصحيح يحتاج إلى نضج أعضاء جسمه وعضلاته المختلفة، بحيث تصبح هذه العضلات وتلك الأعضاء قادرة على أداء عملها. ودون أدنى شك يعتبر الغذاء الذي توفره له البيئة ضرورة أساسية لا يمكن للنمو أن يكتمل دونها، لما له من دور في بناء خلايا الجسم وبناء أنسجته وإمدادها بالطاقة اللازمة للقيام بالأنشطة المختلفة، حيث

يصبح الطفل قادراً بذلك على التعلم والمران واكتساب الخبرات التي يمده بها وسطه المحيط، فالطفل ينمو جسمانياً وفقاً للبيئة التي يحيا بها، فمن منا لم يسمع بطفل الغابات الذي عاش بين الحيوانات، فعجز عن استخدام اللغة وظل يستخدم أقدامه الأربع، عاجزاً عن المشي على قدمين كما أبناء جنسه. فبدون البيئة لا يكون لدينا إلا كائنات حية عضوية، فعملية التطبيع (التي تحول الفرد إلى كائن اجتماعي قادر على التواصل مع مجتمعه بشكل صحيح، مكتسباً معرفته بالأدوار الاجتماعية التي لابد أنه سيمر بها أثناء حياته أو التي ينتظر منه مجتمعه القيام بها)، لا يمكن أن تتم من دون البيئة، والتي تعمل (علاوة على ما تقوم به من عملية تطبيع الفرد اجتماعياً)، تعمل على منحه استجاباته الوجدانية وسلوكياته، سواء ما كان ظاهراً منها أو ما كان مستتراً عن الآخرين، وإكسابه

الاتجاهات والصفات الخلقية، وضبط تلك السلوكيات والانفعالات والرقي بها إلى مستوى النضج، الذي يضمن للفرد التوافق والتكيف مع الوسط المحيط ومع ثقافة المجتمع، وبالتالي لا يمكن للفرد أن يكتسب ميوله واتجاهاته وأنماط سلوكه وأهدافه في الحياة بمنأى عن بيئته وجماعته، فهي بالنسبة له نقطة البداية التي ينطلق منها في كل ذلك، فما تتيحه له تلك البيئة من فرص للتعلم واكتساب الخبرات وتنمية المهارات والقدرات والاستعدادات يتعدى ما ذكر، ليطال نموه العقلي أيضاً بما يشتمل عليه من ذكاء وتفكير وتخيل وميول إبداعية ونمو للغة، وغير ذلك من عمليات معرفية تفعل فيها المؤثرات البيئية والتربوية والثقافية فعلها الكبير، فإما أن تكون بذلك سبباً وعاملاً في نضج تلك العمليات وتطورها وظهورها بالشكل الصحيح، أو تكون عاملاً في ذبولها واختفائها، وذلك وفقاً لطبيعة الحياة والظروف التي تفرضها على الطفل، والتي إما أن تجعل منها مساهماً إيجابياً أو سلبياً في تكوينه.

ولما كان للعوامل البيئية كل ذلك الدور في تكوين شخصية الفرد، فقد عمل الكثير من علماء التربية على التدخل بالبيئة وعواملها بمحاولة هادفة لتقويمها وتعديلها، بما يضمن لهم التحكم في تكوين شخصية الطفل التي سيغدو عليها، لأنه، وببساطة شديدة، إذا كانت شخصية الفرد وسلوكياته في أي مجتمع كان نتاجاً لما خبره وعايشه في مرحلة الطفولة، فمن المنطقي جداً أن تكون أشكال السلوك المميزة لهذا المجتمع بأكمله والصورة التي سيكون عليها مستقبلاً نتاجاً لنفس الأسباب، فمعرفتنا مثلاً بالطريقة التي ينمو بها مجتمعنا حالياً ولاحقاً تتحقق عن طريق معرفة الظروف والعوامل التي تؤثر في نمو أطفالنا حالياً، أي في سنواتهم التكوينية التي ستترك بصمتها على حياتهم بأكملها وعلى حياة المجتمع وشكل ثقافته.

ففي حال كانت البيئة مستقرة توفر الدعم لكافة مؤسساتها التربوية، كالأسرة ودور الحضانة والمدارس والنوادي وغيرها من المراكز الفعالة في تكوين أفرادها، وتسعى باستمرار لرفد تلك المؤسسات بكل الظروف والخبرات والمؤهلات التي تساعد في تحقيق الأهداف المطلوبة، وتسهم بشكل إيجابي في خلق المواطن المبدع، أمكننا التنبؤ بمستقبل متقدم ومتطور لهذا المجتمع، يتمتع بقدر من الرقي يوازي ما بُذل من جهود في سبيل ذلك. لكن عندما يفتقد المجتمع لتلك البيئة الغنية، ويعجز حتى عن توفير ما يلزم لاستمرار حياة أبنائه من مواد غذائية وصحية وغيرها من ضروريات الحياة، بل يعجز حتى عن حمايتهم أمنياً في بيئة ترزح تحت العنف والقتل والدمار والتهجير والجوع، بيئة بات الانحطاط الأخلاقي والاجتماعي والمادي كل ما يميزها، فطال التشوه كل ما فيها حتى الطفولة، عندما يحدث كل ذلك يمكننا التنبؤ بمستقبل هكذا مجتمع لجيل أو ربما لعدة أجيال قادمة.

الإصابة بسرطان الجلد

• هادية الخطيب

حددت الأكاديمية الأمريكية للأمراض الجلدية والتناسلية أول كل إثنين من شهر أيار/مايو، يوماً لمكافحة سرطان الجلد، ورفع مستوى الوعي للوقاية منه، وتشجيع الكشف المبكر عنه من خلال الفحص الذاتي.

وأكدت إحصائيات ٢٠١٣، وفاة شخص واحد كل ساعة بسبب إصابته بسرطان الجلد، وأنه أكثر أنواع الأمراض الخبيثة شيوعاً بين الشباب البالغين بين ٢٥ -٢٩ سنة، والكشف المبكر عنه قبل الوصول إلى العقد الليمفاوية يزيد احتمالات الشفاء منه بنسبة ٩٨٪.

كما توصلت الدراسات الحديثة أيضاً إلى معلومات جديدة للوقاية من هذا المرض، فهناك بعض المواد التي تدخل إلى أفواهنا (من مأكولات ومشروبات وحتى أدوية) مفيدة لمكافحة سرطان الجلد منها:

– **الأسبرين:** نشرت مجلة السرطان التابعة لباحثين من جامعة ستادفورد دراسة حول ما يقارب ٦٠٠٠٠ امرأة تتراوح أعمارهن بين ٥٠-٧٩ سنة من اللواتي لديهن خطر أعلى للإصابة بسرطان الجلد، فتبين أن اللواتي يتناولن الأسبرين بانتظام (مرتين في الأسبوع على الأقل لمدة سنة أو أكثر) هن أقل عرضة للإصابة بهذا المرض بنسبة ٢١٪. واللواتي يتناولن الأسبرين بشكل منتظم لمدة خمس سنوات أو أكثر ارتفعت نسبتهن إلى ٣٠٪ من النساء الأقل عرضة للإصابة، وقد يكون من الغريب أن الأسبرين دون أي مسكن آخر من المسكنات له هذا التأثير الإيجابي على الوقاية من سرطان الجلد.

– **القهوة:** خبر عظيم لمحبي القهوة، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أيضاً أنه يمكن الحصول على بعض الحماية من أشعة الشمس الضارة وذلك بتناول قدح واحد من القهوة يومياً، إذ تنخفض مخاطر الإصابة بسرطان الجلد بنحو ١١٪، وتناول ستة أقداح من القهوة يومياً يقلل من خطر الإصابة بنسبة ٣٦٪، كما أثبتت الدراسات أيضاً أن القهوة الخالية من الكافيين لا تأثير لها على وقاية الجلد من مخاطر الشمس، بالتالي الكافيين هو الذي يحمي خلايا الجلد من التلف الذي قد تسببه الشمس وتكون مسؤولة عن تطور الحالة إلى سرطان.

– **الفراولة:** أظهرت الدراسات التي نشرت في مجلة كيمياء الأغذية الزراعية أن مستخلص الفراولة يمكن أن يحمي خلايا الجلد من الأشعة فوق البنفسجية الضارة، فقد وجد الباحثون بعد الاختبارات أن تركيز ٠,٥ ملغ من المستخلص يحتوي على خصائص وقائية، ويعتقد العلماء أن الأنثوسيانين (anthocyanins) (الأصبغة التي تعطي للفراولة اللون الأحمر) مضادة للتهابات والأكسدة، وبالتالي مضادة للتورم وخصائصه، وبالإضافة إلى دورها في حماية البشرة من أشعة الشمس الضارة، يمكن لهذه الثمرة إغناء البشرة بالفيتامين C، الذي يعطيها النضارة والحماية من الشيخوخة المبكرة.

كيف يمكن أن نقلل من خطورة الإصابة بسرطان الجلد:

التعرض للشمس هو من أكثر العوامل التي تؤدي للإصابة بسرطان الجلد.. والانتباه للأمور التالية يمكن أن يقلل من مخاطر إصابة الجلد بالخلايا الخبيثة:

– البحث عن الظل دائماً والابتعاد عن الشمس، كما يجب ان نتذكر دوماً أن أشعة الشمس تكون في ذروتها بين الساعة ١٠:٠٠ حتى الساعة ١٤:٠٠.

– ارتداء ملابس الطويلة، مثل قميص طويل الأكمام، والسراويل، وقبعة عريضة الحواف، والنظارات الشمسية، وذلك لحماية الجلد قدر المستطاع من التعرض للأشعة الضارة.

– الحذر من الاشعة الضارة عند الاقتراب من الماء والثلج والرمال، لأنها تعمل على انعكاس وتكثيف الأشعة الضارة للشمس، والتي يمكن أن تزيد

من حروق الشمس.

– للحصول على فيتامين D بأمان يجب اتباع نظام غذائي صحي يتضمن الأطعمة والأغذية الغنية بفيتامين D أو إحدى مكملاتها، لكن لا تتعرضوا للشمس للحصول على فيتامين D.

– عندما تكون خارج المنزل نهاراً يجب أن تضع واقياً شمسياً حتى لو كان الجو غائماً، وأن لا تكون حمايته أقل من ٣٠ ٪، كما يجب وضعه على جميع الأماكن المكشوفة من الجسم ويجب إعادة وضعه كل ساعتين، وكذلك بعد السباحة أو التعرق.

– يوضع واقي الشمس بمقدار راحة اليد، ويجب فركه حين يوضع على الأماكن المرادة من الجلد، ويجب عند وضعه أن لا نتجاهل الأجزاء العلوية من القدمين والعنق والأذنين وقمة الرأس.

واقي الشمس يعمل على امتصاص أو عكس الأشعة فوق البنفسجية، لذلك يجب استخدام الكريمات الواقية المناسبة لنوعية الجلد:

البشرة العادية: ينصح باستخدام الكريم الخالي من الزيوت.

البشرة الدهنية: تحتاج إلى الكريم الخفيف أو السائل.

البشرة الجافة: يناسبها واقي كريمي كثيف.

البشرة الدهنية والمختلطة: يناسبها كريم خفيف أو سائل.

البشرة الحساسة: ينصح باستعمال كريم غني بمزايا نباتية وفيتامينات خاصة.

– تحقق من علامات سرطان الجلد وذلك بفحص جلدك باستمرار، فالشامة تعد من أهم علامات الكشف عن سرطان الجلد في وقت أقرب، وكلما تم اكتشاف المرض أبكر كلما زادت فرص الشفاء.

ويمكن أن يتم هذا الفحص الذاتي البسيط عن طريق عدة خطوات بسيطة، بفحص الشامات الموجودة على الجلد.

صفات الشامات التي وتدعو لاستشارة الطبيب:

• **عدم التماثل:** بأن يكون قسم من الشامة لا يشبه الآخر.

• **الحدود:** أن تكون غير منتظمة الحدود، أو محددة بشكل واضح.

• **اللون:** أن يكون اللون متبايناً من مكان إلى آخر، أو يكون لديها ظلال بلون آخر بني أو أسود، أو في بعض الأحيان أبيض أو أحمر أو أزرق.

• **القطر:** عندما تتحول الشامة إلى سرطان جلد يكون قطرها أكبر من ٦ ملم (بحجم ممحاة قلم الرصاص تقريباً) ويمكن أن تكون أصغر أحياناً.

• **التطور:** عندما تتغير الشامة في شكلها أو لونها، وتبدو مختلفة عن غيرها من الشامات الموجودة في باقي الجسم.

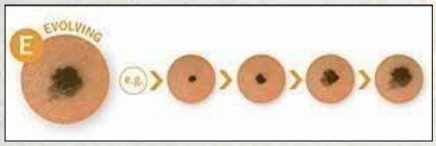

فاذا ظهر في الفحص الذاتي أي من العلامات السابقة الذكر على الجلد يجب مراجعة طبيب متخصص بالأمراض الجلدية فوراً، لتشخيص الحالة ومدى تطورها.

للاطلاع نورد الروابط التالية:

-Skin cancer prevention tips , American Academy of Dermatology
http://www.aad.org/spot-skin-cancer/understanding-skin-cancer/how-do-i-prevent-skin-cancer/skin-cancer-prevention-tips

-What to look for: The ABCDEs of melanoma , American Academy of Dermatology
http://www.aad.org/spot-skin-cancer/understanding-skin-cancer/how-do-i-check-my-skin/what-to-look-for

-spot skin cancer melanoma Monday , American Academy of Dermatology
http://www.aad.org/spot-skin-cancer/what-we-do/melanoma-monday

-Beyond Sunscreen: ٥ Ways to Prevent Skin Cancer, you beauty
http://www.youbeauty.com/skin/skin-cancer-prevention-foods

الطلاب السوريون في تركيا
خطى شريدة ومصير مجهول

• تحقيق: نور مارتيني

أن تدخل إلى مدرسة، فتشاهد مدير المدرسة في الصف بدلاً من المدرّس الذي تغيب عن الحصة الدرسية، لهو أمر يثير في نفسك شعورين متناقضين تماماً: أولهم أنك ستشعر بالتفاؤل والفخر بمستقبل سوريا، وأنه هنالك من ينظر إلى البلد كمشروع مستقبلي، بدل النظرة القديمة التي اعتبرتها «مشروعاً استثمارياً»، وأن ما تأخذه يجب أن يفوق بأضعاف مضاعفة ما تبذله، وأنه منذ اليوم بات الجميع يدرك أن المشروع الوحيد الذي ينبغي العمل عليه هو «الإنسان»، الذي سيغير وجه البلد.

لكن هذا الشعور بالفرح لن يجنّبك شعوراً بالحزن أيضاً على أن هذا الصرح، والذي يجب أن يكون (حسب رأيي الشخصي) هو الذي يشغل الحيز الأول من الاهتمام، مستثنى من قائمة الاهتمامات، ليجد معه مدير المدرسة وكادره الإداري مضطرين إلى تغطية الحصص الدرسية، بسبب إضراب الأساتذة أو تركهم العمل، نتيجة لعدم حصولهم على أجورهم الشهرية لعدة أشهر منذ بدء العام الدراسي.

مدارس .. ولكن!

هذا هو الحال في «المدرسة السورية الحرة»، وهي واحدة من المدارس المقامة في «تركيا»، والتي أنشئت لاستيعاب الطلاب السوريين، يقدر عدد طلابها الذين ينتمون إلى مختلف المراحل التعليمية بـ ١٠٠٠ طالب وطالبة، كل ذنبهم أنهم هربوا من البراميل والقصف الممنهج الذي يمارس عليهم في بلادهم.

التقرير نشرته جريدة «يني شفق» بعد أن زار وفد من الجريدة عدداً من المدارس السورية وتحدثوا عن أعمال الهيئة التعليمية السورية، أوضح أنه «بلغ عدد الطلاب المسجلين الدارسين في تركيا أكثر من ٦٠ ألف طالب»، موزعين على «٥٥ مدرسة منتشرة في كافة أنحاء تركيا» بحسب التقرير الصادر عن «يني شفق».

يشير التقرير أن «عدد الطلاب الملتحقين بالمدارس قليل للغاية»، يعود ذلك « لعدم الاهتمام من البعض، كما يعود أيضاً للأوضاع المادية وصعوبة المعيشة لبعض هذه العائلات، أو عدم وجود مدارس قريبة منهم.»، وكان الرئيس «غول» قد ذكر في لقاء نشرته «الغارديان» أن «تركيا تستضيف على أراضيها ٥٠٠٠٠٠ مواطن سوري، من بينهم مائتا ألف مواطن سوري يعيشون في مخيمات اللاجئين، وثلاثمائة ألف مواطن آخرون يعيشون في المدن التركية المختلفة، متدبرين شؤونهم بطرقهم الخاصة».

وإذا افترضنا أن هذا الرقم دقيق، الأمر الذي أستبعده، بسبب أن الحدود السورية- التركية غير مضبوطة على الإطلاق، وعدد المقيمين بشكل غير شرعي وغير المسجلين كبير، ناهيك عن حالات النزوح المعاكس بفعل الاستنزاف المادي، فهذا يعني أن ما لا يقل عن ١٠٠٠٠٠ طفل كحد أدنى، هم خارج المنظومة التعليمية.

شح في الموارد:

بالعودة إلى حالة المدرسة السورية الحرة، تقول إحدى الإداريات في المدرسة في معرض حديثها عن دور وزارة التعليم في الحكومة المؤقتة التابعة للائتلاف أنه «لم يخصص بعد أي مبالغ حقيقة للتعليم، الآن ترسل لهم بيانات حول

المدرسة، وبعدها عندما تأتي الميزانية سيتم العمل على رفد العملية التعليمية إن توفرت لها الميزانية!».

وعن الجهات الداعمة لبقية المؤسسات، تقول الإدارية إن: «هيئة التعليم المتمثلة بالدكتور عبد الرحمن كوارة» تدعم عدداً من المدارس التي تعمل منذ السنوات السابقة، ولكنها تبحث إمكانية دعمنا، لأن الدعم يطال ما يقارب الـ١٠٠مدرسة، وأصبحت كتلة الرواتب ضخمة جداً، لذلك تبحث الهيئة عن إمكانية الدعم للمدارس التي افتتحت هذا العام».

لماذا «هاتاي»؟

إن الأزمة التعليمية تتجلى في أكبر أشكالها في المدارس، لا سيما تلك الموجودة في إقليم «هاتاي» أو «لواء اسكندرون»، كون هذا الإقليم يعود تاريخياً لسوريا، وكانت الحكومة التركية قد منعت في بداية عام ٢٠١٣ منح إقامات للسوريين فيه، رغم أنه يضم أكبر عدد من السوريين، بسبب قربه من الحدود من جهة، وسهولة التواصل مع سكانه، ذلك أنهم في الغالب يجيدون العربية.

ويشير السيد مدير المدرسة أنه «في مدن أخرى كغازي عينتاب أو اسطنبول، قامت الجهات التركية بتقديم المباني، والمقاعد وفحم التدفئة للمدارس السورية، ناهيك عن المدارس التركية التي أنشئت خصيصاً للسوريين وتكفلت بها الحكومة التركية من مبنى وأثاث وأجور مدرسين، رغم أنها تدرس المناهج السورية التي طبعتها هيئة «علم»، حيث طبعت على نفقتها ٤ملايين نسخة من الكتب المدرسية، إلا أنها تدرس اللغة التركية، وهو ما نقوم به في الواقع في مدارسنا التي أنشأناها بجهودنا الفردية، وذلك لتزايد الحاجة إليها لجهة، ولطول أمد الأزمة لجهة أخرى».

تعليم وأجندات:

تناقلت بعض وسائل الإعلام أخباراً حول إلزام بعض المدارس السورية في تركيا بارتداء الحجاب، حتى أن الإعلامي مؤيد اسكيف كتب على صفحته على فيسبوك: «مدرسة في أنطاكيا تكرم البنات المحجبات وتستثني ابنة

أخي المعتقل وهي طفلة عمرها عشر سنوات لأنها سافرة رغم تفوقها. هل لهؤلاء السفلة دفعنا كل هذا الثمن ؟»، كما أن حصة أخت موزة عقيلة الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني قد زارت بعض المدارس في أنطاكيا ووزعت الكتب على طلابها، دون غيرها!

إلا أن «سمر»، الطالبة في المرحلة الثانوية في «المدرسة السورية الحرة» قد نفت أن تكون قد تعرضت لهكذا موقف، قائلة: «المدرسون يعلموننا بشكل جيد، إلا أنه تم تغيير أكثر من مدرس مؤخراً، وهم لا يعيرون انتباهاً للحجاب، شخصياً لم ينبهني أحد لموضوع ارتداء الحجاب، فقط طلبوا أن يكون لباسي لائقاً بطالبة مدرسة».

أهم العقبات:

السيد مرهف، وهو ولي أمر أحد الطلاب في المرحلة الابتدائية، يقول: «لقد كانت أزمة ولدي الكبرى في سوريا هي الشعور بعدم الاستقرار، الأمر الذي شكل له بعض الضغوط النفسية ومشاكل في النطق. اليوم يستعيد ولدي المشاكل ذاتها بسبب عدم شعوره بالاستقرار، وما يسمعه من مقولات يتناقلها زملاؤه حول احتمال إغلاق المدرسة».

ويتحدث مدير المدرسة عن هذه المشكلة، فيقول: «هناك جزء من المقاعد حصلنا عليها من / الملا أيتين / التربية التركية /، فيما تم تجهيز الباحة من قبل بلدية «أنطاكيا»، واشترينا قسماً من المقاعد.. كما أن هناك جمعية قدمت لنا قسماً آخر من المقاعد، ولكن لم يصلنا شيء من أي جهة سورية!».

أما عن أهم سلبيات العملية التربوية في تركيا، فيقول «القائمون على العملية التعليمية غير أكفاء في قيادة هذه العملية، وللأسف فإن بعض المنظمات التي تدعم المدارس تفرض شروطاً في التدخل في أي شاردة وواردة، في المقابل ما من جهة تشرف على آلية عمل هذه المدارس أو تقوم بالدور الرقابي عليها، أو على كفاءة كوادرها...».

لابد من أن تعير الجهات التي يفترض بها أن تمثل الشعب اهتماماً لقضية التعليم، خاصة وأن اليونيسيف قد أوردت في تقريرها نهاية العام المنصرم أن «ثلاثة ملايين» طفلاً سورياً باتوا خارج المنظومة التعليمية، الأمر الذي يستدعي قرع ناقوس الخطر، ولكنه حلم بعيد المنال، خاصة وأن الوزير المكلف من قبل الحكومة المؤقتة «عبد الرحمن الحاج»، لم يقم بالرد على أي تساؤل فيما يتعلق بالعملية التربوية في تركيا، أو حتى تقديم اعتذار عن الرد، علماً أن السيد الوزير يقوم بمهام وزير التربية في الحكومة المؤقتة، في وقت لم يحصل فيه على ثقة الائتلاف!

يبقى أن نشير إلى أنه تم التواصل مع د.جلال الدين الخانجي وطرحت عليه أسئلة بهذا الخصوص ولكنه لم يتكرم بالرد، في الوقت الذي تدخل بعض الأفراد لتقديم منحة تضم راتب شهر للمدرسين مع سداد أجور حافلات النقل المتراكمة، وكان المقابل هو طرد مدرس الموسيقا الذي كان يقيم ورشات مجانية للطلاب بحجة أن «الموسيقا محرمة»، وهنا لابد من القول إن ما يجري يحمل أحد وجهين: إما أن الهيئة التعليمية راضية عن هذه الأجندات وتتنصل من واجباتها لتفسح المجال لمن يريد تنفيذها، أو أنها قاصرة عن القيام بواجباتها، وهما أمران أحلاهما مر!

حكايات عن المرأة بوصفها ضحية للقمع المجتمعي

• د. غسان مرتضى

مارست الثقافة الذكوريَّة في المجتمعين الصيني والعربي أنواعاً وأشكالاً متعددة من القمع ضد المرأة، تبدأ من قصة خلقها واتهامها بالأنانية والخداع، ولا تنتهي عند اللغة التي تقتضي استخدام جمع الذكور في مخاطبة ألف أنثى لمجرد وجود طفل ذكر بينهنَّ. ومن أكثر أنواع القمع شيوعاً وإيلاماً القمع الاجتماعي الذي تمارسه أمُّ الزوج الحبيب في حقّ الكنَّة زوجة الابن، والذي صوره الأدب والتاريخ الأدبي في اللغتين كلتيهما.

تتحدث القصيدة القصصيّة الصينيّة الشعبيَّة الطويلة (الطاووس يطير نحو الجنوب)، التي يعود تاريخ إبداعها إلى القرن الثالث الميلادي، والتي تُعدُّ واحدة من روائع الأدب الشعبي العالمي، عن مأساة أسرة فتيَّة، كان فيها الزوجان العاشقان ضحيّة قسوة العلاقات الاجتماعيّة الصارمة وفظاظة الأعراف والتقاليد الظالمة في المجتمع الإقطاعي المحافظ، فالصبيَّة لانزي الذكيّة النشطة المثقفة، أحبَّت زون جينغ وعاشت معه بعد الزواج أسعد لحظات حياتها... لكنَّها لم تستطع اكتساب محبّة حماتها ورضاها على الرغم من وفائها وتضحيتها، ومحاولات الزوج الشاب إقناع أمّه بأنَّ الفتاة صالحة وجيِّدة ومؤدَّبة و... واضطُرَّ تحت ضغط أمّه العجوز وإصرارها وتهديدها أنْ يرضخ لمشيئتها كما تقتضي الأعراف والتقاليد، ويطلّق زوجه.

يتعاهد الزوجان العاشقان في آخر لحظات اللقاء بينهما على الحفاظ على حبهما إلى أن تُتاح لهما فرصة العودة للعيش معاً.

ويستاء أهل الفتاة من عودة ابنتهم إلى بيتها مطلقة، وتتلقى لذلك تعاملاً قاسياً، ينطوي على كثير من الإهانات والإذلال، كما يحدث عادة لأيّ مطلقة في مجتمع ذكوري متخلّف، ويقرر أهلها تزويجها لأول عريس قادم، وبأقصى سرعة، فيوافق أخوها الأكبر على تزويجها من ابن أحد الوجهاء المتنفذين الذي تقدَّم لخطوبتها.

وليلة الزفاف، وبدلاً من أن تذهب لانزي إلى العربة التي ينبغي أن تقلها إلى بيت الزوجيَّة الجديد حيث تُقام الأفراح، تصمّم أن تبقى مخلصة لحبّها الأول، وتتخذ قرارها بالانتحار، كي تبقى وفيّة لعهد الحبّ الذي قطعته على نفسها، وكي تتخلص من الزوج الذي أرغمتها أسرتها على القبول به...، تتوجه إلى بركة الماء الكبيرة وترمي نفسها، وتموت غرقاً.

يصل النبأ إلى مسامع حبيبها زون جينغ، فيسارع إلى فعل الشيء نفسه، كي يلحقَ بحبيبته إلى العالم الآخر، ويشنقُ نفسه...

وهكذا يفي كلٌّ من العاشقين بعهد الحبّ الذي قطعه على نفسه، تقول خاتمة القصيدة:

طلبت الأسرتان أن يُدفن العاشقان معاً
في قبر واحد عند سفح جبل (هوس ـ هان)
في شرقيّ القبر وغربيّه نبتت أشجار الأرز والصنوبر
على يمين القبر وشماله امتدت ظلال الدفلى،
وتعانقت أغصان الأشجار،
وامتزجت أوراقها،
وسكن بين الأغصان زوجان من الطيور،
سمّاهما الناس طيور الحبّ،
كانا يتراءيان، ويغردان مرفوعَيْ الرأس
في كلّ ليلة حتّى الهزيع الأخير،
وظلّ المارة يتوقفون لسماع غنائهما...[1]

ويستمرُّ الحبُّ بعد الموت متحدياً العلاقات الاجتماعيَّة القاسية التي لا تقيم وزناً لذات الفرد، ولا تأبه بالمشاعر ولا العواطف.

تصوّر هذه القصيدة المأخوذة من كتاب (الأغاني) الذي جمعت فيه عشرات القصائد الشعبيَّة القديمة، حالة حبّ صينيّة صادقة وبريئة، وتتحدث بلغة مفعمة بالشفافيّة ومكتنزة بصدق العاطفة والأحاسيس وبساطتها عن مشاعر الحبّ الممزوجة بالخوف والرهبة، الحبّ تجاه الحبيب الصادق المخلص، والخوف من صنوف الرقابة والممانعة الاجتماعيَّة، الخوف من المحيط الذكوري الممثل بالأب والأخوة والوشاة والرقباء، والذي تؤازره الأمُّ الأنثى التي

١- عبد المعين الملّوحي. ((ثقافات وأزمنة وعشّاق)) مجلة المدى. ع ٤٠. سنة ٢٠٠٣. ص٤٣ ـ ٤٥.

تشرَّبَتْ القوانين الاجتماعيّة الذكوريّة، وارتوت منها إلى حدّ الإشباع.

كان المجتمع الصيني مجتمعاً محافظاً منذ أقدم العصور، ومازال محافظاً حتّى أيّامنا هذه، يهتمُّ اهتماماً بالغاً بالعادات والتقاليد المتوارثة، ويَعدُّ العائلة الوحدة الأساسيَّة التي لا يجوز أنْ ينفرط عقدها، والتي ينبغي أنْ تخضع لنظام أبويّ متوارث وصارم، ينظر إلى المرأة نظرة دونيّة، ويفرض عليها قيوداً اجتماعيّة قاسية، وتمارس فيه الأمُّ دورها الذكوري بعد تخليها عن أنوثتها وتحولها إلى رقيب وقَيِّم على العادات والأعراف والتقاليد.

إنّ موضوع هذه القصيدة الطويلة مركب من عددٍ من المعاني ذات الطابع النمطي العالمي، التي تتكرر في كثيرٍ من النصوص الأدبيَّة الشعبيَّة لدى شعوب متعددة في العالم.

ويكاد التشابه العام بين موضوعها ومواضيع عدد من النصوص العربيّة القديمة يصل إلى حدّ التطابق أحياناً، بل إنَّنا نكاد نثق —إذا ما غيرنا الأسماء وما يشير إلى البيئة— بأنَّ أحداث القصَّة في هذه القصيدة قد وقعت في نجد أو الحجاز أو بلاد الشام...

أمّا إذا تناولنا كلّ معنى من معانيها بصورة مستقلة، فسنجد له من المشابهات في الأدب العالمي أكثر مما يمكن أنْ يُتَصوَّر، وعلى سبيل المثال فإنّ معنى دفن الزوجين أو العاشقين في قبرين متقاربين، ونمو الأشجار أو الورود على قبريهما، وتعانقها في كناية عن استمرار الحبّ بعد الموت، هو معنى معروف في الأدب الفرنسي الشعبي القروسطي (تريستان وإيزو)، وفي الأدب الفارسي الطاجيكي (طاهر وزُهرة)، وفي الأدب العربي (عروة وعفراء)، وفي الأدب الإسكتلندي (توماس وأنيت)، وفي الأدب الكردي (ممو وزين) إلخ ... والأمر نفسه ينسحب على معاني أخرى مثل (قيام الأم بدور سلبي يؤدي إلى افتراق المحبَيْن)، و(تعاهد المحبين على الإخلاص والاستمرار في الحب)، و(تعرض أحد المحبَيْن للضغوطات من الأهل أو من طرف دخيل)... إلخ.

ويتشابه مضمون هذه القصيدة القصصيَّة الشعبيَّة مع مضامين عدد من القصص التي تروي سير الحب لدى العشاق العرب، فقد فرَّق المجتمع بين عنترة وعبلة، وسعت القبيلة بين قيس وليلى ففرقت بينهما، وسعى الناس بين أبي صخر الهذلي وحبيبته أم حكيم، حتى إنَّ الشاعر شبّه سعي الناس بينهما بسعي الدهر:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وغير ذلك كثير من القصص المعروفة.

لكنَّ القصَّة التي تنطوي على شبه كبير مع القصَّة الصينيَّة هي ما يُروى عن قيس بن ذريح الذي أحبَّ لبنى بنت الحباب وتزوجها، ثمّ طلقها تحت ضغط والديه وإصرارهما، فماتت، ومات حزناً وكمداً عليها.

تعددت المآسي الاجتماعيَّة في ثقافة المجتمعات الذكوريَّة، وتمخضت عن تشابهات تصل إلى حدّ التطابق، تشي بأنَّ العالم قرية صغيرة ما دام محكوماً بعلاقات اجتماعيَّة واحدة.

رشا عمران «بانوراما الموت والوحشة» وسُريالية الواقع السوري

• عبد الكريم بدرخان

قبل سنوات، قال لي أحد الأصدقاء مازحاً: «كلمة سُرياليّة مشتقّة من سوريا»، واليوم يبدو الواقع السوري أكثر سُرياليّةً من السُريالية نفسها. في ديوان «بانوراما الموت والوحشة» للشاعرة رشا عمران، الصادر عن دار «نون» هذا العام، تقدّم الشاعرة تجربة وجودية عبثيّة سرياليّة لا تخلو من ضروب الجنون الإبداعي. نقف عند العنوان باعتباره العتبة الأولى للنصّ، فنجدها قد اختارت كلمة «بانوراما» أي النظرة العامة والرؤية الشاملة، لكن أي بانوراما؟ إنها بانوراما لمشاهد الموت السوري وأنواعه وطرائقه، ولحالات الوحشة القاتلة التي يعيشها الإنسان السوري. في هذا الديوان يتّحد الذاتي بالموضوعي اتحاداً عضوياً، ويصبح جسد الشاعرة وجسدُ الوطن قطعةً واحدة، وتغدو أفكارُها وأحلامُها وهواجسُها ورؤاها انعكاساً مباشراً لمشاهد الرعب التي تصِلُها عبر «الشاشة السوداء» كما سمّتْها.

من حيث الشكل، يتألف الديوان من عنوانه الرئيس «بانوراما الموت والوحشة»، ومن ثمانين مقطعاً شعرياً مرقّماً دون عنوان فرعي، تشكّل بمجموعها مشاهد البانوراما. لقد أدركتْ عمران أن المشهد السوري لا يمكن إحاطتُه بقصيدة واحدة، فهو مشهد واسع، معقد، مركّب ومتناقض، ولذلك اختارتْ كتابة مقاطع (نصوص قصيرة)، كلٌّ منها يقدم صورةً من هذه البانوراما. وهذه التجربة الشكليّة–المضمونيّة اتّبعها مِنْ قبلها عددٌ من الشعراء للكتابة عن حالاتٍ شبيهةٍ بالحالة السورية، مثل محمود درويش في «حالة حصار»، وأدونيس في قصيدة «الوقت»، وغادة السمان في رواية «كوابيس بيروت».

سأتحدث عن ثلاثة موضوعات في ديوان «بانوراما الموت والوحشة»، أرى أنها تشكّل السمات المميزة للديوان، وهي: السردية، الوجودية، السُريالية.

١– السردية في الشعر:

خلال النصف الثاني من القرن العشرين، بدأت نظرية الأنواع الأدبية (الأجناسيّة) تتراجع عن مكانتها السابقة، ولم تعد معياراً للفصل بين جنس أدبي وآخر، فالحدود بين الأنواع الأدبية تختلط وتمتزج كثيراً. وكان لا بدّ للشاعر العربي أنْ يخرج من الغنائية التقليدية وينفتح على الفضاء السردي الأرحب، وما يحتويه من دلالات ورموز وتفاصيل وتشكيلات بصرية وتقنيات حوارية كالمونولوج والاسترجاع، بالإضافة إلى أنّ إدراج تقنيات السرد في ثنايا النصّ يعمل على تقوية القصيدة، ويعزّز مستوياتها تركيباً وإيقاعاً ودلالةً.

اعتمدتْ رشا عمران على تقنياتِ السرد لتحقيق الإدهاش الشعري، فهي ترسم المشهد بكلمات بسيطة وخيال خصب، تشتبكُ الكلماتُ مع بعضها مشكّلةً حبكة قصصيّة حقيقية، ثم تنحلّ الحبكةُ بحدثٍ مدهشٍ ومفاجئ، فهكذا –مثلاً– حكتْ لنا عن الموت الذي لا يشبع:

«أذهبُ إلى المطبخ
أتأملُ السكاكينَ التي اشتريتُها قبل مدة
أحملُ واحدةً منها
وأعودُ إلى الغرفة
على الجدارِ الفارغ
أرسمُ ظلالَ قاتلٍ ما
وبالسكينِ التي بيدي أحفرُ في الحائط كي أنزعَ كبده
وحينما أنتهي
أعودُ إلى المطبخ وأضعُ الكبدَ الأسودَ في كيس بلاستيكي
ثم أفتحُ الباب وألقي به أمام القطةِ التي تموءُ بدأبٍ فريد
وحين أعودُ ثانية إلى غرفتي
أكتشفُ أن حائطي امتلأ بظلالِ عشراتِ القتلة
يتناوبون على حملِ السكين ويتّجهون نحو سريري
بينما القطةُ التي في الخارج
مازالتْ تموءُ بانتظار المزيد».

كما تعتمد عمران على تقنيّة تتالي الصور أو المونتاج، حيث ترسم صوراً بسيطةً بكلمات وتركيبات لغوية بسيطة، لا قيمةَ فنيّاً لأيّ صورة منها لوحدها، لكنها بتتابعها البصري وبتصاعدها الدراميّ تشكّل المشهد الشعري/ الدراماتيكي/ الفجائعي:

«ولدٌ مذهولٌ على البساط
طفلةٌ على السرير الصغير
عجوزٌ تستند إلى حائط مائل
ثمّةَ عكازةٌ عند البابِ المُوارب وكرةٌ تشعرُ بالملل
وعلى الحائط
صورةُ رجلٍ وامرأة في ثياب العرس
بقعةٌ حمراءُ على زاوية الصورة
كما لو كانتْ شارةَ الحداد».

٢– التجربة الوجودية:

يمكننا القول إنّ معظمَ التياراتِ الفكرية والأدبية والفنية التي ظهرتْ في أوروبا خلال القرن العشرين، انتقلتْ إلى الوطن العربي وظهرتْ تياراتٌ مشابهةٌ لها في الفكر والأدب والفن. إلا أنّ التيارات التي ظهرتْ كنتيجة مباشرةٍ لويلات الحرب العالمية الثانية، لم يكنْ لها انعكاسُها الواضح في الثقافة العربية، كالوجودية والعبثية والدادائية والسُريالية.

واليوم، يعيش الإنسان السوري تجربةً وجودية فريدة، تتسم بالقلق والخوف من التحديات والمخاطر، وبإصراره على إعلاء حرية الفرد، واحترام إرادته في اتخاذ قراراته المصيريةِ وتحقيق وجوده. ويرى سارتر أن للكاتب موقفاً في عصره، ومسؤوليةً تجاه مجتمعه والإنسانية بصورة عامة.

تظهر ملامح الوجودية عند عمران من حيث إنها شاعرة تحيا الوجود

البشري بكل تفاصيله، أي إنها لا تفكّر فيه وتتأمّله فقط:

«وما كان لشيءٍ أنْ يحول دون تفتّتي..
كنتُ أراقبُ أعضائي موزّعةً على البلاط..
تلك اليدُ أعرفُها جيداً، وأعرفُ أصابع القدم اليسرى المبعثرة، وأعرف الشامة السوداءَ في أعلى الظهر، الشامة التي كنتُ أبرزها دائماً كلما نسيتُ اسمي..
أعرفُ بقعةَ الدمِ أسفل الجدار، وأعرف السرّة الملقاة تحت السرير كمنديلٍ عتيق..
وحدَه الرأسُ بكلّ تفاصيله، الرأسُ المعلّق أمام الشاشةِ السوداءِ كمسمارٍ في فراغ الحائط
كان غريباً عني...».

وعندما تتعمق أزمة الإنسان الوجودية، يبدأ بتأمل عناصر الطبيعة من نباتات وحيوانات وديدان، ثم يتماهى معها في خضمّ تماهيه الكامل مع الوجود، في الديوان يكثر استخدام مفردات مثل: النمل والعنكبوت والدود، ويكثر تأملها من قبل الشاعرة، ثم تماهيها معها:

«تلك التي تتسلّقُ الجدرانَ كعنكبوتةٍ سوداء
ليست سوى
وحشتي».

٣– سُريالية الواقع السوري:

لا يمكن للعقل البشري أنْ يتصوّر ما يحدث في سوريا، فما يحدث يفوق العقل والمنطق والخيال، إنه واقع لا واقعي!

ولذلك اعتمدت الشاعرة على آليات نفسية مختلفة للتعبير عن العقل الباطن، بطريقة يعوزها النظامُ والمنطق، معتمدة على الأحلام والخيالات والرؤى والهواجس والهلوسات:

«وفي آخر الليل أعيدُ أعضائي المبعثرةَ إلى أمكنتها
قد أضعُ أصابعَ اليد اليمنى في القدم اليسرى،
وقد أخطئُ في ترتيب تفاصيل وجهي،
وقد أضعُ القلبَ مكان إحدى الكليتين...
لكنني إذا ما استيقظتُ صباحاً سأدرك أنني
استيقظتُ كجثةٍ مكتملة».

وتظهر في سُرياليّة رشا عمران بعضُ ملامح المدرسة الوحشية في الفن التشكيلي، مثل تركيزها على استخدام اللونين الأسود والأحمر، وهما لونا الموت والدم، وكذلك قيامها بتحريف الأشكال عن طريق تغيير حجومها وأماكنها ونِسَبها الطبيعية:

«حين يصبحُ قلبي بحجم نملةٍ سوداء
تزحف على البلاط بلاَ هدفٍ وبلا وجهةٍ غير عابئة بالأقدام الثقيلة حولها..
حين يصبح قلبي صغيراً جداً
بحيث أنني أنا نفسي لا أراه!».

الحمل (٢١ آذار – ٢٠ نيسان)

تتمتعين بصحة جيدة ومعنويات عالية خلال الفترة القادمة. أمامك فرصة لتطوير شخصيتك، لازال عليك الصبرفي انتظار نجاحات قادمة. تتلقين عروضاً عاطفية ، أنت على وشك استقبال جديد في حياتك ربما يكون حملاً أو ولادة أو زواج.

الثور (٢١ نيسان – ٢٠ أيار)

في هذه الفترة بدء قطف ثمار لجهود قمت بها، تكتسبين خبرات جديدة تكون أساساً لما ستحصلين عليه، حولك الكثير من المكائد عليك الانتباه لها، فرصة لإيجاد الشريك وربما الارتباط به، احتمالات لتغيير مكان الإقامة.

الجوزاء (٢١ أيار – ٢١ حزيران)

تبدو الأمور متوترة خلال الفترة القادمة، واجهي الظروف ولا تهملي أعباء من أجل الآخرين، بعض المواقف الخاصة تتطلب منك أن تكوني مرنة وتتقبلي وجهات النظر الأخرى، استعدي لتغييرات مفاجئة في حياتك، حجم المصاعب التي تعترضك يفقدك الرغبة في أن تكوني الرقم واحد، لا تقلقي لأنك ستتجاوزين الصعوبات وستعيشين متعة وسط كل هذا الاضطراب.

السرطان (٢٢ حزيران – ٢٢ تموز)

تغيرات مسرعة قادمة، فرصة لبدء مشاريع جديدةعلى مستوى العمل، الكثيرون ممن حولك بحاجة لك، أرباح مالية قادمة، شعبيتك في صعود، تلتقين أشخاصاً يثيرون اهتمامك،الاحتمالات مواتية لارتباط وربما إنجاب.

الأسد (٢٣ تموز – ٢٢ آب)

بدءاً من نهاية هذا الشهرتهيئي لتحولات وإنجازات جيدة ، تحسن في الأمور المالية، تجنبي التفاخر كي لا تفقدي شعبيتك، عاطفياً يعدك الفلك بلقاء هام هذا الشهر، لكن العلاقة التي يمكن أن تستمر لن تصل قبل منتصف تموز.

العذراء (٢٣ آب – ٢٢ أيلول)

أنت الأكثر حظاً هذه السنة، ربما تفوق النتائج ما تنتظرينه، كوني حاسمة في اتخاذ القرارات، نجاحات لصاحبات الأعمال الإبداعية، انتبهي من البرودة تحتاجين لبعض الجرأة فلا تترددي، أمامك الفرصة لإيجاد الشريك.

الميزان (٢٣ أيلول – ٢٢ تشرين أول)

تفاءلي لأن إعاقات الفلك قاربت على الانتهاء، وحان وقت تحقيق الانتصارات، تتمتعين بطاقة جبارة والفضل لمهاراتك التنظيمية، حافظي عليها، تتخلصين من قيود عائلية، عاطفياً الفترة القادمة فرصة لبدايات واعدة.

العقرب (٢٣ تشرين أول – ٢١ تشرين ثاني)

لا تسمحي للانتكاسات الصغيرة أن تعرقل طريقك، امضي قدماً وابحثي عن شيء جديد، لكن تجنبي الانجذاب السريع للأشياء فهناك من يحاول إيقاعك في فخ التسرع، ربما يصلك مال غير منتظر، تهتمين بزميل يجذبك لكنه قد يجرحك.

القوس (٢٢ تشرين ثاني – ٢٠ كانون أول)

منشغلة بترددك تجاه العروض الجديدة، ثقي بالفلك فالحظ قادم، السياسة والتجارة والعلاقات هما مجالك الناجح، فرصة للنجاح من خلال السفر، ينتظرك لقاء قد يبدأ بأحاديث بسيطة وينتهي بعلاقة جدية.

الجدي (٢٠ كانون أول – ١٩ كانون ثاني)

تقابلك التحديات بشكل متكرر هذا الشهر، حاولي الابتعاد فالظروف غير مواتية، مال عن طريق ترقية أو إرث، في العلاقة مع الشريك الكثير من التوتر ربما قادك إلى الانفصال، اجعلي صحتك على قائمة الأولويات.

الدلو (٢٠ كانون ثاني – ١٨ شباط)

تعيشين الكثير من التحديات غير المتوقعة، استغلي حيويتك للقيام بما تريدين إنجازه قبل أن تسوء الأمور، واستفيدي من دعم المريخ حتى نهاية تموز،عاطفياً ربما عاد الماضي للظهور في حياتك باحثاً عن الانتقام.

الحوت (١٩ شباط – ٢٠ آذار)

هذه هي سنة الحظ سنة الإنجازات والانتصار، وتحقيق الطموحات والرغبات، تحسن في الأوضاع الصحية والمهنية، تحققين أرباحاً مالية ، وللحب أيضاً نصيب فيما يحدث لك، قد تتفاجئين باهتمام أحد المقربين.

الكلمات المتقاطعة

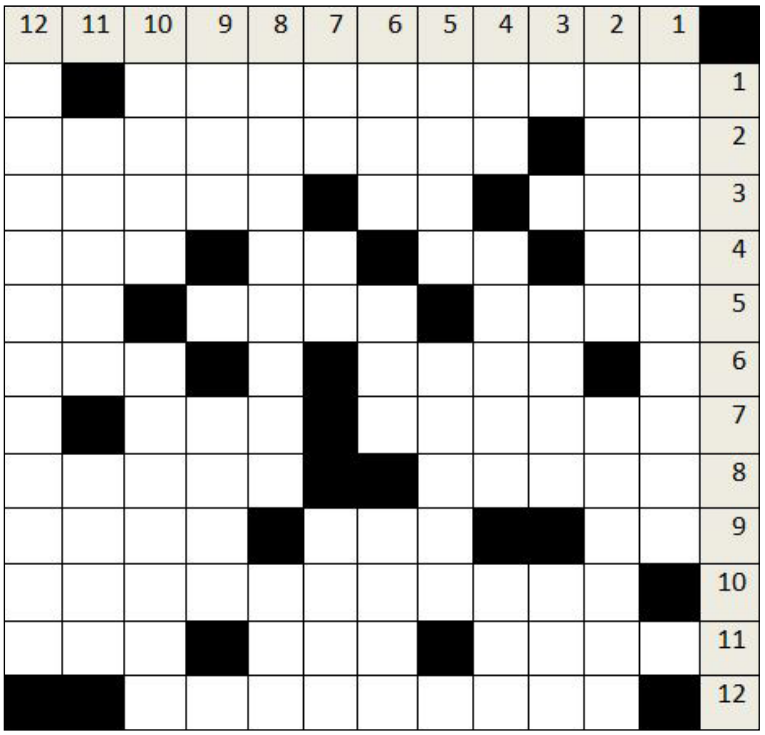

أفقي

١- طبيبة وسياسية سورية
٢- حب (معكوسة) - أحد أبواب دمشق
٣- عشق- لف- تهتم
٤- متشابهان- إحسان- ضد حلو- غزال (معكوسة)
٥- درب- يلتوي- قادم
٦- صفة لكثرة العدد (معكوسة)- حزن
٧- جبل يطل على دمشق- طلب
٨-الشدة- مدينة في حمص
٩- مشابه- ورع (معكوسة)- آلة للتقطير
١٠- رئيس سوري سابق
١١- تلميذ- إحدى الأطراف- لقياس المسافة
١٢- سياسية سورية ومعتقلة سابقة

عامودي

١- شاعرة فلسطينية
٢- عملة أجنبية- الطلاء
٣- يسقط- ذات
٤- أحد الوالدين- فضلات- شهب مبعثرة
٥- طوّق- غني (معكوسة)
٦- يغطي الماعز- يفقد عقله- زورقر
٧- لقياس المساحة (معكوسة)- متشابهان- نهر في سوريا(معكوسة)
٨- قرية في حماة حصلت فيها مجزرة- تقال في الهاتف
٩- نشتم- أصابت
١٠- نقودي (معكوسة)- اسم حركة إضراب في سوريا
١١- القنوط- يدوّن (معكوسة)
١٢- ناشطة حقوقية سورية مختطفة

سودوكـــــو

سودوكو: هي لعبة منطقية مبنية على وضع الأرقام في المكان المناسب. الهدف هو ملء ال ٩*٩ مربعات بأرقام بحيث أن كل عمود وصف ومربع من المربعات التسعة (والتي تدعى مناطق) تحتوي على الأرقام من واحد إلى التسعة دون تكرار.

	4			5				9
	6	5				2	1	
9				2	1	4		
3		7		4		1	9	
	9	6				8	5	
	1	2		8		6		4
		9	8	7				1
	5	3				9	8	
8				3			2	

كلمة السر

كلمة السر مؤلفة من ١٢ حرف رجل دين من أهم ناشطي الثورة

قال لي صاحبي، والضباب كثيف على الجسر:
هل يعرف الشيء من ضده؟
قلت: في الفجر يتضح الأمر
قال: وليس هنالك وقت أشد التباسا من الفجر ،
فاترك خيالك للنهر

في زرقة الفجر يعدم في باحة السجن، أو قرب حرش الصنوبر
شاب تفاءل بالنصر
في زرقة الفجر ترسم رائحة الخبز
خارطة للحياة ربيعية الصيف

ا	ل	و	أ	ر	م	أ	ل	ا	ي	ب	ح	ا	ص	ب
ل	ي	ك	ل	ا	ن	ه	ا	ر	ج	ف	ل	ا	م	ك
ج	و	ب	ر	ق	ء	ي	ش	ل	ا	د	ش	أ	ن	ث
س	ل	ة	ح	ئ	ا	ر	ة	ا	ي	ح	ل	ل	ل	ي
ر	ل	ا	ه	د	ض	و	ف	ف	ش	ة	ق	ر	ز	ف
د	ن	ل	ي	ف	ن	م	ي	ي	ا	ر	ج	ف	ل	ا
ا	ه	خ	ث	ل	ق	ل	ا	ق	ب	ة	ح	ا	ب	ا
ل	ر	ب	ف	ر	ع	ي	ل	ة	ي	ع	ي	ب	ر	ي
ف	ي	ز	ك	ر	ث	ا	ف	ر	ص	ن	ل	ا	ب	ث
ج	م	س	ر	ث	ل	ء	ا	ف	ث	ش	ر	ح	ل	ض
ر	ن	ج	س	ل	ا	ي	ر	ب	و	ن	ص	ل	ا	ح

هبة الأنصاري تشكيلية سورية تعيد ترتيب المجزرة

• حاورتها سيدة سوريا

هبة الأنصاري، تسجنُ الأنثى في توابيت مسبقة الصنع، سعياً إلى تحريرها.. تعيدُ ترتيب المجزرة، وتُجلسُ القتلى على أنقاض منازلهم، ليراقبوا السوق والناس من بعيد، دون أن تقوى أرجلهم، التي فقدوها في القصف فأبدلتها لهم هبة، بأرجل خراف، على المسير!
العلاقة المتوترة التي تخلقها أعمال هبة مع جمهورها، تعكس حجم العبثية في مشهد انقضاض طيارة حربية في سوريا على طفلة ودميتها.

– مَنْ هي هبة الأنصاري إذاً، وماذا تريدُ أن تقول؟

درستُ في جامعة دمشق، قسم التصوير. أحاول في أعمالي حالياً التركيز على الفن التركيبي، وعلى اللوحة. أشتهي تجريب كل ما يتاحُ لي من أدوات في العمل الفني.

في بداية أذار ٢٠١١ شاركتُ ضمن معرض جماعي في المركز الثقافي الفرنسي بدمشق، تحت عنوان «كلهنَّ هنا»، وكانت عبارة عن مقبرة جماعية لنماذج من نساء. المقبرة تضم ١٣ تابوتاً من خشب، لنساء سوريات أعرفهنَّ جيداً. عرضتُ العمل في طقس أشبه بالجنائزي، يليق بشدة اشتهاء الحرية، والتوق إلى عالم خالٍ من كل القيود، حتى وإن كان داخل تابوت.

كانت المقبرة هذه عبارة عن عمل تركيبي «Installatio»، اشتغلتُ فيه على مواد مختلفة، فالتوابيت من خشب وقماش أسود، أما الفساتين فهي مُعدلة ببعض المواد والألوان. ومؤخراً، قدمتُ عملاً تركيبياً آخر بعنوان «برزخ في كفرنبل». إضافة لمشاركتي بلوحات في معرض سيقام قريباً في دبي.

«داخل كلّ تابوت، نموذجٌ من الأنثى الشرقية، التي تراها هبة مشروع جثّة. واختلاف التوابيت، ليس إلا كناية عن اختلاف الظروف التي أودتْ بحياة الأنثى ذاتها».

– لو بحثتْ هبة الأنصاري في ذاتها عن المحرضات التي تكمن خلف أعمالها، ماذا تقول؟

الواقع بتفاصيله الدقيقة يعجنني، وبالتالي يعجن أعمالي. أنا متورطة بالواقع، بما يعيشه الناس حولي من أحداث، فمثلاً حين عملت على التوابيت، التقيت بعشرات النساء في بحث دقيق عن حالات لتوابيتي التي حاولت اختزال ماسمعته حينها لصناعة كل تابوت، والذاكرة تهيمن على الحاضر، أحاول ترويضها وإمساكه، لذلك تظهر بعض المفردات في أعمالي من الذاكرة.

أعمل اليوم على مشروع فيديو آرت فيه رسائل. فكرتُ بهذا المشروع بعد سماعي لقصة المصور محمد نور مطر، الذي أرسل لوالدته من زنزانته في أحد سجون داعش، أنه لايزال على قيد الحياة، وذكرها بأخر طبخة تناولها في منزلهم، وهي «خضار مشكلة»، الواقع يحمل رسائله الخفية لنا.

– تميَّزتْ هبة الأنصاري بأعمالها الجديدة، التي تصنف ضمن التشكيلات التي تستخدم أجزاء

مفتوحة الآفاق من حيث استخدام مواد طبيعية أو مصنعة، وصولاً إلى استخدام لحوم وعظام الحيوانات، عن ماذا تبحث هبة في هذه التشكيلات التي ربما تظهر بشكل قاس جداً للعين وللمشاهد؟

أستغرب من ردة فعل الناس على هذا النوع من الأعمال، ووصفهم لها بالقاسية، لا أستخدم اللحم كمادة أساسية في بعضها، رغم أنهم يأكلون اللحوم يومياً ويطبخونها. تعليق اللحم برأيي على جسدي أو في فضاء ما، أقل قسوة من طبخه.. اللحم مادة حساسة، وربما يمكنني إيصال أفكار كثيرة من خلالها، عن ما نعيشه الآن في سوريا، عن الموت الكثيف وعلاقتنا اليومية بضحاياه، علاقتي اليوم تغيرت مع كل تفاصيل العالم، وهذه العلاقة الجديدة مع نفسي أولاً تحتاج لأدوات قوية كاللحم.

-على اعتبارك «متورّطة بالواقع» كما ذكرت، كيف أثَّرتْ الثورة السورية بهذا الزخم المبهر من التفاصيل الواقعية التي أفرزتها يومياتها الدامية على تحولات أعمال هبة الأنصاري؟

أنا جزء من كل... كل المحيط تغيَّر، صارت مساحة الفقدان والفجائع أكبر في حياتي، علاقتي حتى مع كوابيسي اختلفت، وبالتالي تطورت علاقتي مع اللوحة ومع الفضاء العام. في السابق كانت المدن والحارات واضحة في رأسي، اليوم تحولت بعض الأماكن إلى ذاكرة بعد تدميرها، وسافر بعض الناس اللذين أعرفهم وأحبهم إلى السماء. كل هذه التفاصيل تصنع الفنان وتمسك أعماله بقوة.

– هناك مشروعان خاصان، الأول هو وضع قطع من اللحم مع عين سمكة على الوجه، ربما ذكَّرنا بأعمال لـ (فرنسيس بيكون)، كأننا أمام وجه مكشوط، هل هو بحث عن (أنا) ما تحت هذا الجلد؟ أم إنه اعتراض على قساوة الواقع وما يحصل بالجسد البشري في العلن بسبب القصف وغيره في سوريا؟

لا نستطيع التفريق بين الأنا الشخصي والأنا الآخر، لا أعرف لماذا تقف أسئلتك في دائرة واحدة! ليس بمقدوري رؤية وجهي دون أن تمسَّني الكوابيس كصاعقة كهرباء. كل الوجوه مبتورة اليوم في سوريا، وكأننا أشلاء مرمية في حارة واحدة، وتخنقنا جميعاً رائحة جثثنا المتروكة للزمن.. حتى من لم يقتل بعد، هو مقتول بالخوف والمجهول والفجائع.

– أما المشروع الثاني فهو مشروع قمت بتصويره في كفرنبل، تحت عنوان «برزخ». كيف ولدتْ فكرة العمل، وكيف تطورت لتصبح عملاً كاملاً كما شاهدناه؟ وهل ثمَّة ما طرأ عليه من تحولات بين الفكرة والنتيجة النهائية؟

لا أعرف إن كان يمكننا الحديث عن العمل الفني وكأنه جنين، أو بناء! العمل مجموعة من التناقضات والتحضيرات المتراكمة، ومشروع «برزخ» هو جزء من مشروع النحت باللحم الذي بدأته مع عمل «خط الحدود» الذي وضعت فيه لحماً وعين سمكة على وجهي، وسأعمل على مجموعة أعمال ضمن ذات السياق وبأدوات متقاربة.

– برأيك، هل ثمَّة أدوارٌ على الفنان القيام بها، أم أن صوت المعركة، وفعل الرصاص لا يزال طاغياً على المشهد السوري؟

الفن بدأ منذ أول الثورة ولا يزال مهماً ومؤثراً، فاللوحات الجدارية على بساطتها تغطي كل جدران سوريا تقريباً، وكل الأطراف تسمع طوال الوقت ما أنتجته من موسيقى أو أناشيد... الفن أساسي ومؤثر دوماً رغم صوت الرصاص الذي سرق الأجساد والأماكن، وبرأيي الحروب تخلق أنواعاً جديدة من الفن، وهذا ما حصل في سوريا.

– ما هو دور الفنان السوري الذي يقيم في المغتربات وخاصة الأوربية منها، وما الذي يمكن تقديمه للثورة وللشعب السوري؟

عليه أن يواصل العمل على واقعه، فمساحة الحرية شاسعة هنا، مما يتيح للفنان قدرة أكبر على الإبداع والابتكار, والفن متوفر بكثافة هنا، بالإضافة إلى أن المكان يتيح لك الاحتكاك المباشر والمستمر مع أهم الأعمال الفنية والمدارس الحديثة. باعتقادي أن كل هذه العوامل تساعد الفنان على تطوير أدواته وذاته. إلا أنني غير واثقة من قدرتنا على تغيير الرأي العام تجاه قضايانا من خلال الفن. ربما هذه من مهمات العمل الإعلامي، لكن لابد من المحاولات، رغم إحساسي المحزن باللاجدوى من مخاطبة المجتمعات في أوروبا.

ملتقى الثقافات المتجاورة في غازي عينتاب

• تقرير: فريق تحرير سيدة سوريا

عقد «مركز عمران للدراسات الاستراتيجية» في الثالث من حزيران ٢٠١٤، في أوغور بلازا عنتاب التركية، الملتقى الثقافي العربي الكردي التركماني، تحت شعار «الأخوة تجمعنا».

انطلق الملتقى الذي يرعاه «المنتدى السوري للأعمال» بكلمة للدكتور مازن شيخاني رئيس المسار الثقافي والاجتماعي للجهة المنظمة، أشار فيها إلى أهمية اللقاءات الثقافية لتقريب وجهات النظر ودفع الحوار بين أبناء الوطن الواحد إلى الأمام، وأن تلك مسؤولية ملقاة على كاهل المثقفين. كما أشاد باهتمام القائمين على المنتدى السوري للأعمال بموضوع الحوار والالتقاء والتأكيد على ضرورة التنوع وتمثيل الجميع ما يغني الوطن ورسالته الحضارية وأنهم تمثلوا ذلك بتبني فكرة الملتقى ما إن طرحت.

وفي كلمة الجهة الراعية قال الدكتور غسان هيتو الذي يمثلها: «إن الجرائم التي يقوم بها النظام بحق السوريين قتلاً وتهجيراً تحتم عليهم الالتقاء والحوار، وردم الثغرات التي أوجدها بين القوميات المشتركة في الوطن، وأشار إلى الجهود التي يبذلها المنتدى السوري للأعمال لرفع سوية المعيشة والفكر في الداخل السوري أو في بلدان الجوار، وتأتي رعاية هذا الملتقى ضمن هذا السياق. ودعا القيمين على الملتقى أن يجعلوا منه نواةً لإيجاد مناخ للتبادل الثقافي بين العربية والكردية والتركمانية في الإطار السوري والمنطقة.

ثم جاءت كلمة الضيف التركي الكاتب والمفكر السيد «تورغاي إلدامير» مدير وقف بلبل زادا ورئيس منبر الأناضول، التي أكد فيها أن العرب والكرد والتركمان كانوا عبر التاريخ نموذجاً للأسرة الواحدة التي تجمعها روابط الأخوة، مؤكداً أن الذاكرة التي تحفظ التراث والأدب والثقافة والفن هي ما تجعل شعباً ما حياً، وأبدى أسفه أن تركيا لم تستطع أن تفعل شيئاً إزاء ما ارتكبه النظام السوري من مجازر في حماه، لكن ما يحدث اليوم في منطقتنا وفي سوريا خاصةً يعيد التأكيد على أننا أخوة نفتح أذرعنا لأخوتنا السوريين، وإن كنا لا نزال مقصرين عن إيفائهم حق الأخوة لكننا ماضون في الوقوف إلى جانبهم.

وفي كلمتها تطرقت وزيرة الثقافة في الحكومة السورية المؤقتة الدكتورة «تغريد الحجلي» إلى مرتكزات يؤكدها الحوار والالتقاء بين الأخوة في الوطن الواحد، لا يجب التنازل عنها، منها أن العرب والكرد والسريان والآشوريين والتركمان والكلدان، أبناء الإسلام والمسيحية وسنةً ودروزاً وعلويين وإسماعيليين وطوائف أخرى، أصحاب ثقافات متعددة وحضارات اجتمعت في ساحة وطن واحد، ومنها أيضاً الاتفاق على احترام الإنسان والارتقاء بالمجتمع وأكدت على ضرورة الوقوف مع المرأة ودعم قضاياها لنعيد لها موقعها الحضاري وتأثيرها الاجتماعي، ولفتت إلى ضرورة الاهتمام بالطفل الذي يعيش ظروفاً شديدة القسوة لأنه مستقبل سوريا.

وبعد الافتتاح قسمت فعاليات الملتقى إلى جلستين في الأولى منهما ثلاث أوراق:

ورقة عربية قدمها الدكتور مازن هاشم رئيس قسم البحوث في مركز عمران، أشار فيها إلى روابط الأخوة التي تجمع العرب والكرد والتركمان وكم من المؤسف أن يدعى الأخ إلى حوار أخيه.

وورقة كردية قدمها المسرحي الكردي «أحمد اسماعيل»، تكلم فيها عن الاضطهاد الذي تعرض له الكرد السوريون في ظل نظام آل الأسد الاستبدادي، الذي أعاق أي حوار، وزرع الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، وأن الكرد يعون ضرورة الحوار ويحرصون على التعايش السلمي مع

مكونات وطنهم

وفي الورقة التركمانية لفت الأستاذ «ناصر الحسو» عضو مجلس التركمان إلى القمع الذي تعرض له تركمان سوريا وأن لديهم الرغبة للتكاتف والتعاضد مع مكونات الشعب السوري في وطن واحد.

أما الجلسة الثانية فقد جمعت مواد ثقافية منوعة تعبر عن التراث والأدب العربي والكردي والتركماني بينهم الشاعرة الكردية السورية «أسيا خليل» حيث قرأت مجموعة قصائد بالكردية وأخرى بالعربية.

تلاها الكاتب «عبد الوهاب حسين» في محاضرة عن (ماليي جزيري، وأحمدي الخاني) كدليلين على رحلة الكرد إلى الروحانية الإسلامية والمحبة الإنسانية وربانا سفينتهم.

وعن أهداف الحوار قال (منسق الملتقى ومدير مشروع الحوار العربي الكردي التركماني) الأستاذ «عماد محمد» لسيدة سوريا: يسعى الملتقى من خلال خلق هذا الحوار إلى «تعميق تعريف أطراف الحوار ببعضها البعض وتقريب وجهات النظر والعمل على ردم الثغرات التي أحدثتها الفترة الماضية، والوصول به إلى التفاهم على الحقوق المشروعة بما يضمن التعايش الأخوي وزيادة الثقة بمدأ التعايش السلمي ثم تسليط الضوء على النقاط المشتركة التي تجمع العرب والكرد والتركمان، بهدف الوصول إلى مجتمع متناغم تنعم فيه المكونات الاجتماعية جميعاً بحقوقها الإنسانية دون تمييز، وأيضاً دفع ثقافة المجتمع بكل مكوناته وصولاً إلى السوية الحضارية التي تحقق التمازج مع حضارات العالم والتكامل معها».

هذا وقد تخلل الملتقى جلسة حوار مفتوح ناقش فيه الحاضرون أفكارهم واقتراحاتهم وإضافاتهم لإغناء الملتقى وتفعيل دوره، إضافة إلى فقرات فنية عرضت خلال جلسات الملتقى.

وفي نهاية الملتقى أكد «مركز عمران للدراسات الاستراتيجية» تبنيه مشروع الحوار الثقافي والتزامه بالعمل المستمر من خلال فعاليات قادمة كثيرة.

كحل بازلتي (كونشيرتو[1] أو تلوين صوتي)

• أيمن الأحمد

جهة الله

الغروب الملدوغ بالحمى، يسّمُ الشام بالهذيان المخملي:
يميناً.. يميناً جهة الله امشِ!
لا تخشَ عليّ من شوارع دمشق.
أخشى على براءتك من نوايا البشر.
غيوم نيسانية تملأ السماء، والغيمة التي تفردها لنا الشام، أشبه برئة أخيرة لكائنين غريبين لا يستطيعان التنفس إلا بها.
عند منعطف «الشارع المستقيم» ونحن نسرع الخطى لحضور الحفل الموسيقي، ودون وعي المدينة، تلامست الأصابع خلسة من لغة الجسد، وكأن جاذبية ساحرة استدرجتهما إلى هاوية مدهشة، جفل القلبان في لحظة واحدة، ابتعدت الأصابع راعشة، وانحبست في القلب تنهيدة غامضة!

مثلث الحذر

لحن إيقاعي متدرج يتداخل مع آلات نفخية كمطر خفيف يغازل صوت ناي مطعون في فؤاده، يقاطعه حديث الوتريات الهادئ ليضفي على جلوسنا في خاصرة المسرح الدافئة شجناً وحنيناً.
حديث الوتريات يتراجع قليلاً، كمن يسحب من الغروب غيمة كانت تزين غسقه، ليمهد لدخول آلة البيانو بلحن أول مع فواصل لحنية لباقي المجموعة، حينها أتشهى الوقوف برهة على حافة الموسيقى لاستدرج وقتي المهدور شمالاً:
لم أنبت كما أريد في شمالي القصي، يلفّني غبار طويل، فأخلعُني حين أنام، علّني أحلم بالمطر والموسيقى، هكذا هي البرية في الشمال الذي جئت منه، برية تورثنا الغبار والحرمان والصمت، نوشك على اقتراف ارتباكنا، لكننا نؤجل غيمنا العقيم إلى بكاء خمري التفاصيل، لينبت بدل الزغب العفن حقول للقمح المفقود!
لا يتوقف بكائي مع الموسيقى، لكن الغبار يحوله إلى طين خرافي التشكيل.
في اللحظة ذاتها كانت تعود إلى جنونها:
ثلاث نقاط متتالية... لتفهم اعتقال الجنوب بتمرده، نحن خارج الجسد نغرق في أروحنا بصمت ونتلمس أصداء أصوات بعيدة، لملمّي تاريخ ممنوع الشرح..
سحرني عزفه... هكذا عرفته وهو يحمل كمانه وصمته وشماله المغبر، يتلمسني سحر موسيقاه بأصابع عمياء، يتحسس جهة الجرح يمضي بي إلى آخر لوني.... هو دائماً يعرف من بين أي النقاط الثلاث ستسقط شهقتي!
لو أنني لا أتنفس روح البازلت، لو أنني لم أحمل ألواني إلى موسيقاه، لما كانت سمائي مفتوحة لظله العالي.
انسيابية حركة الذراع تعطي حرية لأصابعه في العزف، يستمر العازف الغارق بالنشوة على مفاتيح البيانو، وكأنه يبحث عن ذات ضائعة بين لوني المفاتيح، عن شيء مفقود في روح الموسيقى. لحظتها تماماً سقطت يده حرة على مفاتيح البيانو، لتعلو صرخة كصوت خرز مفروط على أرض صلبة، ولينتشر بعدها صمت مشدود الأطراف!
يتراجع البيانو قليلاً لتحضر الفرقة..
ظل الموسيقى هذا كان كحاشية خضراء تلامس أروحنا المفطورة، فتنبت اللحظة برعماً ثم تمضي بنا إلى حنينا المرتكب:
لم ترَ النهر المعوج في طيننا الرخو، ولم تفاجئك البرية بصمتها القاتل، أدهشك الشمال المحير كضلع يتيم في هذا المثلث الحذر.
لم أرَ البازلت، ولم أشرب نبيذ الجنوب لكن الثلج المحاصر للبازلت ولكؤوس النبيذ أدهشني، وتعويضاً عن الضلعين التائهين في المشهد: مابين شمال محير وجنوب أحدب ستأخذنا رجفة الموسيقى إلى ضلعي الحنين فينا.

كونشيرتو: حفل موسيقي تتبادل فيه آلة موسيقية فردية(بيانو أو كمان) الحوار مع مجموعة آلات موسيقية.

يعود البيانو إلى لحنه الأول...

غيمة الخوف

-١-

....، بعد فاصل ذكي تبدأ الحركة الثانية بعزف هادئ ورقيق لكل آلات الفرقة، مع غياب واضح لصوت البيانو الذي لا يتأخر صوته بالظهور مع تقطيعات خفيفة...
ارتخاء في جسم العازف، أراقب أصابعه وهي تلون حضورنا بكونشيرتو(١) «شوبان» وموسيقاه الشاعرية:
«حلم.... ويأس
هدوء... وقلق
لقاء... وفراق
فرح... وحزن»
كفك أبيض... أزرق.. أحمر... وخريطة مثلثة التجاعيد
أتفرس وجهها وهي تقرأ كفي:
ما أغرب خطوط يديك؟! قلت في صمتي وأنا أتأمل مساحة البياض في عينيها والتي تتسع بشكل مذهلَ عندما تفرح، ما يزيد من توهج اللون فيهما، بينما الكحل المرسوم بدقة وأناة يعمق سحر المشهد أكثر، لكن غيمة الخوف التي تعلوه كانت دائماً تقلقني!

-٢-

وقفت أمامه أتحير صمته واندهش بحركة أصابعه وهو يعزف على الكمان، كان عزفه الآسر يستدرج ذرا عواطفي إلى هذيان مائي صامت:
ركنت أولاني جانب كمانه، ركضت إليه فارداً ذراعي بدمعي وطفولتي انتظرت عينيه...
بهدوء توقف عن الموسيقى وبصمت وضع كمانه جانباً، خلع بموسيقاه قميص الطفولة عني، مسح دموعي بأنامله المشدودة وأهداني علبة ألوان «باستيل»، لكن غيمة الخوف أجّلت العناق!

محنة الطلع

جالس قربها وصوت الآلات يمهد لدخول البيانو..
الفرقة الموسيقية تتبادل الحضور بتقطيعات رائعة..
وبينما كنا نحاول أن نلتقط حبات الطلع الخصبة من صوت البيانو، كان حوار البيانو مع الفرقة يأخذ شكلاً أكثر وضوحاً وحزناً.. حوار يشبه حوارنا المجنون مع مورثنا العفن:
الله واحد فلماذا نحن ضفتان؟
لا يرد الموروث على صراخنا... وتستمر الفرقة بتنويعاتها الموسيقية
صوتها يتنهد قربي:
عد إلى شمالكَ
أنتِ جهتي....
لكنني خائفة
كل هذا الفرح فيكِ يناديني
أمسكتُ يدها، تمسّكت بيدي وهي ترتجف، وضمتها إلى صدرها
أخذت نفساً عميقاً وأحسّت بخدر في رأسها
شعرتُ بروحها تعانقني، مسحتُ على شعرها برفق ، أبعدتُ الجنوب عن فرحها..
...
تراجع البيانو بهدوء....
أسندت رأسها إلى صدري، ورحنا نلتقط حبات الطلع في جهة مختلفة!

نوافذ المعصية الخمس وبوابات الغفران

• علاء الدين زيات

كلما شدته الأرض أكثر، انتفضت قدماه بالوثب، يحاول سرقة خطوتين والاندفاع خارج جاذبية الأرض، بعض الأسر يراه موتاً بطيئاً.

لا يشتهي خلاصه الفردي، هو ونبي صغير يسكنه يَجِدُ في الجموع مريدين، طلاب رؤيا يطلّ من نوافذه عليهم، لكنه ليلاً يختلي بذاته، يعيد رصف الجزيئات المبتكرة، ويحرص أن يكون السياق بلا نتوءات حادة.

نوافذ المعصية الخمس وبوابات الغفران
حديث حول المثقف ودوائره المحيطة

١– بوابة التاريخ

– المعصية: هم أشباهه الذين سبقوه، ورّاقون ربما، ثم جامعون ورحالة وكتّاب، شعراء وباحثون ومدونون، ملؤوا مكتبته بكل ألوان العلوم، يحتدّ أحياناً ويصف كل ذلك بالتخاريف، ويصنفهم كالمخادعين، ولكنهم وحدهم من يركن إليهم ليلاً، هذا التردد بين الشك والثقة (معصيته الأولى كلما قرأ تاريخهم/ تاريخه).

– الغفران: يحشره قوس قزح بين الأصفر والأخضر، تجره العربات الخشبية إلى الخلف، إلى البرتقالي، وتعيده للأحمر، ثم يعاود الركض منفلتاً واثباً من جديد، يريد لعربته أن تعبر الأخضر فالأزرق فالبنفسجي، بقي الأخير مبتغاه ولونه الأثير، ربما ولعه ذاك، مخرج قدميه من رمله المتناسل عبر كان وكان وكان.

٢– بوابة المجتمع

– المعصية: لابد من شق فاصل، ولابد من صلة، يد على دكة الخشب الملتصقة بالأرض، والثانية تحرك غيمة وتحاول كشف ما تخفيه من حوار النجوم والقمر، أن يكون للتراب أثره في تحسس الشم، وأن تحيل الذاكرة أمطار الخريف الى ياسمين يعبق بشعر صبية (معصيته الثانية كلما طالبه العمر بموقف).

– الغفران: كل ما يحيط نتاج حلمه، طائرة/كانت عصفور حلم، وبريد يربط الملايين/كانت حماماً زاجلاً، وصور تخلد الأجساد والروائح وشيفرة التكوين/كانت تخنيطاً وأهرامات، كل مفاتيح الحياة تنضم لحمالة حلمه، ثم تعبر تجربته بين الخطأ وتصويبه، ليس من رافعة أكثر منه تعباً، ولا أحد أكثر منه غياباً عن منصة التتويج.

٣– بوابة الإنسان

– المعصية: «أنا» لا تقبل انتكاسة غير الموت، و«أنا» لا تعرف «نحن» إلا عبرها، و«أنا» خلاقة تدرك بعض شرطها، ترخي له حبل الصعود، تبقيه متوتراً يقظاً يقفز سلالمه لحظة يضع قدميه، و«أنا» موهنة متضرعة تلجأ للتورية بدل المجابهة، وتتحايل على اللغة لتضمن رأسها خارج الحبل المتدلي(الجبن معصية).

– الغفران: وحده الأكثر شجاعة رغم تردده الذي يرتديه، كحامل نار القبيلة، آخر حملة الرايات، يخاف أن يدخل العالم كله عصراً جليدياً فيما لو تخلى عن مهمته، يلقي على ذاته خطاباً مطولاً حول دوره الذي لا يدانيه أحد، يقنعها بلباسها وحذرها وشكها، ثم لحظة يجد أن لا مفر من فداء يليق به، يتقدم بخطوته للخلود.

٤– بوابة الوطن

هنا لا معصية ولا بوابة غفران، في البوابة الرابعة ثمة تماهٍ بين كل شيء، حلم على أعتاب خيبة، ودم على أرغفة الخبز المشتهاة، فرار مبيت منه وإليه كولادة أولى يجب أن تكون، وما أن يلفظنا رحم الأم نصرخ فراقنا الأول بحرقة، في بوابة الوطن تلك الصورة التي جهد أن تختزن عشرة قرون مضت، لتكون حيث يلصقها موظف الهجرة على جواز سفره قادرة على الكلام. وعلى خانة المهنة ابتسم الموظف ذاته حين أجابه: كاتبٌ نعم، سليل عدة أجيال من كتاب لم يحظوا مرة ببطاقة تعريف.

٥– بوابة المستقبل

المعصية: عقله المرهون بقدميه القافزتين، يرسم نهاية السلم، تلك الدرجات الأخيرة فيه، لونه البنفسجي الأثير، وحين يدلل على بضاعته بكل الكلام المتاح يعافه المارة. هناك ضباب كاف لحجب الدرجات القريبة، فكيف ودرجته الألف، لم يعتد أن يضبط ساعته وفق المتاح الممكن، يريد طياً جنونياً بأجنحة (المنتحرون أشجع الجبناء).

الغفران: ليس على تعريف هويته من دلالة أنه مختص في علم الضمير، لكنه ما إن يلقي تعويذته الساخطة على سكة الحاضر حتى يجد نفسه مرآة التالي. ليس نافياً لسوء محيطه، بل يمارس رؤية المستقبل في الآن، ربما من هنا يتهمه الآخرون بالشعوذة، وهنا حرقته وصبره وبعض الضوء اللافت في أن معاصيه الخمس وبوابات غفرانه المفتوحة المتشابكة تبقى بعد أن يمضي.

سيقال حينها في ذكرى وفاته العشرين حين يكون مستقبله وشعوذاته صارت متداولة، كان غريباً وعاش غريباً ومات غريباً لأنه ابن الآتي.

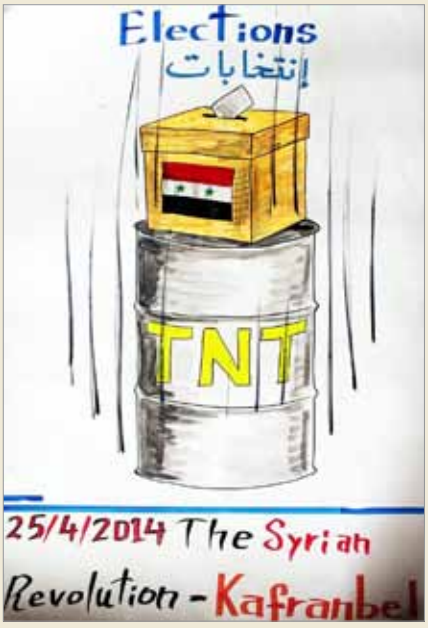
Elections
إنتخابات
TNT
25/4/2014 The Syrian
Revolution - Kafranbel

VOTE

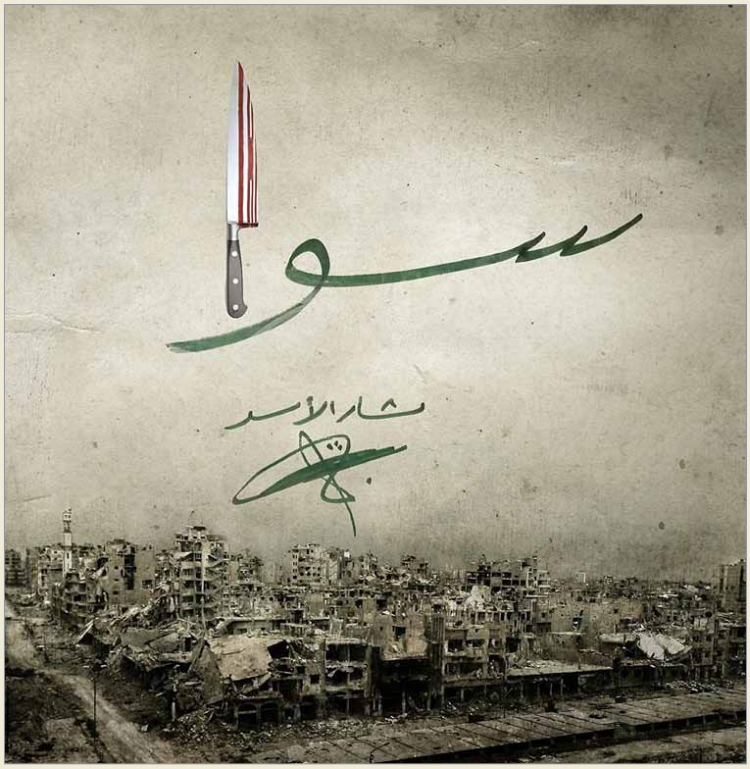
سوا
بشار الأسد

سوا

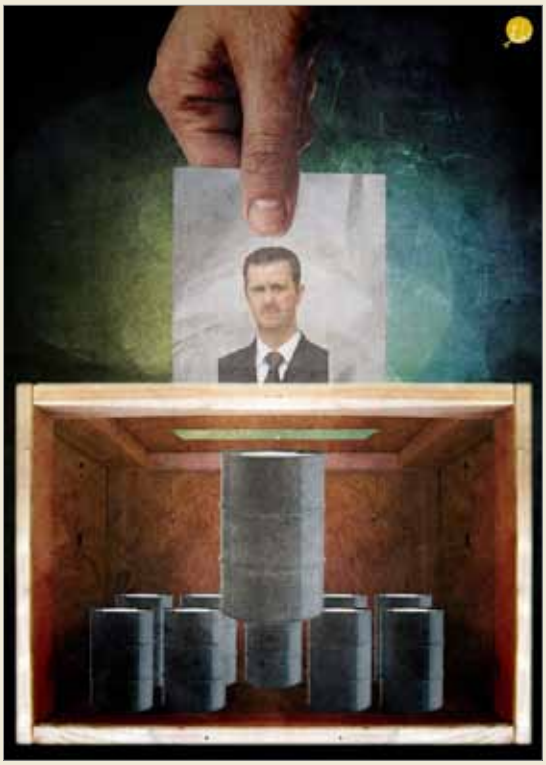

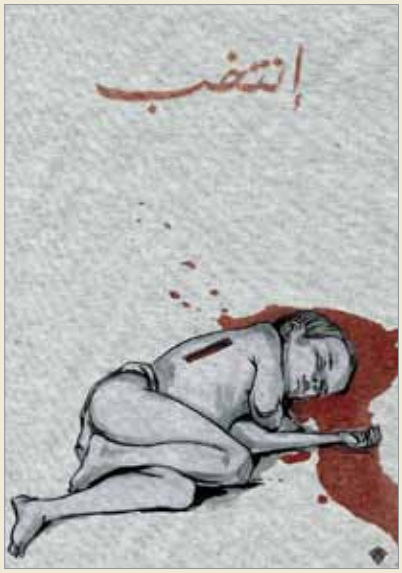
إنتخب

#SAWA